ابن سنان
وقضايا النقد الأدبي

د. وحيد كبابة

ابن سِنان الخفاجي (٤٢٣ـ ٤٦٦) هـ ، هو « عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي : شاعر ، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره ٠وكانت له ولاية بقلعة « عزاز » من أعمال حلب ، وعصى بها ، فاحتيل عليه باطعامه « خشكناجة » مسمومة ؛ فمات ، وحُمل الى حلب ٠ له « ديوان شعر مطبوع » و « سِرّ الفصاحة »(١) ٠

يدور كتابه النقدي « سر الفصاحة» ، «حول البحث في ماهية الفصاحة ... فأراد أن يحدد لها تحديداً أدق وأعمق ، معتمداً على الدراسات السابقة في النقد والبلاغة والنحو واللغة ٠٠٠ فهو يرىأن معرفة هذا العلم مفيدة في العلوم الأدبية ، بل هو مقصور على المعرفة بها»(٢) ٠

كما يهدف من كتابه الى فائدة عالم الشريعة ، بقصد الالمام بسر فصاحة القرآن وإعجازه ، مخالفاً فيما ذهب إليهمذاهب المتكلمين(٣) ٠

وقد قسم كتابه إلى قسمين كبيرين، أحدهما خاص بالألفاظ وخصائصها ، والآخر خاص بالمعاني(٤) ٠

ويبدو أنه كان يميل إلى آراء المعتزلة ومذهبهم ، و« تأثر بفلسفة أرسطو، وحاول تطبيقها علىدراسته للفصاحة »(٥) ٠

قضايا النقد في سر الفصاحة

١ ـ الطبع والصنعة :

يتوقف ابن سنان عند مصطلح الطبع، وهو عنده يرادف الموهبة والعادة ؛ لهذا لا يمكن أن يُعَلَّم الشعر لمن لا طبع له . ويقابل هذا المصطلح عنده التكلف والتصنع[٦] . أما الصنعة ، فهي صفة عامة للشاعر : فالشاعر شأنه شأن أي صانع ، غير أن هذا صنعته نظم الأشياء ، أما الشاعر فصنعته نظم الكلام . ويغيب البعد الشعوري عن عملية النظم هذه ، فلا نجد له صدى عنده .

وهو يميل إلى الأدب المطبوع . لهذا نراه ينصح الشعراء والكتاب « بترك التكلف ، والاسترسال مع الطبع »[٧] . ومقياس التكلف عنده العناء والجهد ، في طلب الألفاظ ونظمها[٨] .

٢ ـ الموهبة في الشعر :

يولي ابن سنان الموهبة أهمية كبيرة ، فالطبع عنده يعني الموهبة . وهي بالنسبة إليه عنصر ضروري في نظم الشعر ، لا يمكن من غيرها نبوغ شاعر وإذا كانت العلوم المكتسبة تهذب الطبع وتنميه ، فانها من غير الطبع ليس بامكانها إثارة الشاعرية . لذلك ، يربط ابن سنان الشعر بالفطنة ، وهذه ملكة فردية خاصة ، لا يمكن تعلمها أو تعليمها .

٣ ـ ثقافة الأديب :

للثقافة عنده دور كبير في تهذيب الطبع ، بل إن الطبع والعلوم المكتسبة معاً ، هي آلة الشاعر[٩] . أما ما يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفته من العلوم ، فهو : اللغة والنحو والصرف وأخبار العرب وأحاديثها وأنسابها وأمثالها . ويختص الشاعر بمعرفة العروض والقوافي ، إضافة إلى ما تقدم

وعلة ذلك عنده « أن مؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم ، واطلع على كل صناعة ، لأثر ذلك في تأليفه ومعانيه وألفاظه ؛ لأنه يُدفَع الى أشياء يصفها. وصفه له أسهل ، ونعته أمكن ... فاذا خبر كل شيء وتحققه ، كان وصفه له أسهل ، ونعته أمكن ... »[١٠] . فالثقافة الموسوعية ضرورية في عفوية التأليف وسهولته ، فضلاً عن أثرها في الشمولية والاحاطة الفكرية بالموضوع .

٤ ـ الشاعر وأغراض الشعر :

يرى ابن سنان أنه على الشاعر أن يعطي كل موضوع حقه ، مراعياً في ذلك التناسب بين الغرض والقول الشعري[١١] .

كما يميز بين الشعر والنثر من حيث الغرض ، فيرى أن الشعر يصلح لجميع أغراض الكلام ، على خلاف النثر . ومن هنا أفضليته وتقدّمه على النثر[١٢] .

٥ ـ وظيفة الشعر :

غير أنه في مقام الموازنة بين الشعر والنثر ، ينقل موقف مفضّلي الشعر ، ملمحاً الى ميله الى تقديم النثر على النظم. وأسباب التفضيل ، كما يلاحظ ، نفعية . فالنثر ذو وظيفة معرفية ومادية واجتماعية ، لا يكاد يبلغها الشعر ، فضلاً عن صدقه وجِدّه . « فالحاجة الى صناعة الكتابة ماسة ، والانتفاع بها في الأغراض ظاهر ، والشعر فضل يُستغنى عنه ولا تقود ضرورة اليه . والكاتب ينال بالكتابة الوزارة فما دونها من رُتب الرياسة مما لا يحظى به الشاعر »[١٣] .

٦ ـ المبنى والمعنى :

وهو الموضوع الأهم في كتابه . يوصي ابن سنان الكاتب والشاعر معاً ، بترك التكلف والاسترسال مع الطبع في الابداع ، مُلحاً على الصورة اللفظية للصناعة الكلامية : « فالموضوع هو الكلام المؤلف من الأصوات ... فأما

الصانع المؤلف ، فهو الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض ، كالشاعر والكاتب وغيرهما ... وأما الصورة فهي كالفصل للكاتب والبيت للشاعر ، وما جرى مجراهما »(١٤) .

والألفاظ عنده هي موضوع صناعة الكلام ، وإن كان لا ينكر اشتراك المعاني في ذلك . فعلى الشاعر أن يُعنى بالجانب الشكلي من عمله ، اختياراً وتركيباً ؛ لأنه وسيلة أداء المعنى ، فلا يُعذره إحكامه للتأليف عن حسن الاختيار في المعاني .

ينتقل ابن سنان بعد ذلك الى الكلام على حسن التأليف ، وهو عنده في وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازاً، ولهذا شروط متعددة نوجزها في الأمور التالية :

١ ـ **ألا يكون في الكلام تقديم وتأخير .**

٢ ـ **ألا يكون مقلوباً .**

٣ ـ **ألا تقع الكلمة حشواً .**

٤ ـ **ألا يكون الكلام شديد المداخلة ، وهذه هي المعاظلة .**

٥ ـ **ألا يعبّر عن المدح بألفاظ الذم ، ولا عن الذم بألفاظ المدح .**

٦ ـ **ألا يستعمل في الشعر والنثر ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم والألفاظ التي يختص بها أهل المهن والعلوم .**

٧ ـ **يضاف الى ذلك حسن الاستعارة .**

ومعيار هذا كله الألفة والوضوح .

كما يميل ابن سنان الى المناسبة بين الألفاظ ، كالازدواج والترصيع والجناس . وهذا من أثر العصر ، اذ أولع الكتّاب والشعراء بهذه الفنون .

وقد لاحظ ابن سنان في مقام حديثه عن الألفاظ ميل أهل عصره الى التكرار اللفظي وطلب الوحشي من الألفاظ ، مقارناً بين عفوية البدوي وتكلّف القروي . وهو بذلك يضع مقياساً واضحاً للمتكلّف من الشعر ، فهو ما بذل صاحبه فيه جهداً ومشقة ، وابتعد عن العفوية والاسترسال .

أما شروط فصاحة اللفظة عنده فهي :(١٥)

١ ــ أن تكون مؤلفة من حروف متباعدة المخارج •

٢ ــ أن يكون لها في السمع حسن ومزية على غيرها ، وان تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة •

٣ ــ أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية •

٤ ــ ألا تكون ساقطة عامية •

٥ ــ أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة •

٦ ــ ألا تكون قد عُبِّر بها عن أمر آخر يُكره ذكره •

٧ ــ ألا تكون كثيرة الحروف •

٨ ــ أن تكون مناسبة للمعنى ، فتكون مصغرة في موضع عُبِّر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك •

وابن سنان يعرض هذه الجوانب عرضاً تطبيقياً ، فيذكر النماذج السلبية والايجابية فيها(١٦) •

ومما يتصل بدراسة المبنى الشعري عنده ، حديثه عن الحروف وما يحسن استعماله منها وما يقبح ، وطريقة تأليفها وطبيعته •

يتوقف ابن سنان عند المشكلة الأولى ، فيرى أن بعض الحروف يحسن استعماله في الفصيح من الكلام ، وبعضها لا يحسن • فالتي تحسن ستة حروف ، وهي : النون الخفيفة التي تخرج من الخيشوم ، والهمزة المخفّفة ، وألف الامالة ، وألف التفخيم ، وهي التي بها يُنحى نحو الواو،وذلك كقولهم: الزكاة ــ الزكاوة • والصاد التي كالزاي ، نحو قولهم في مصدر : مزدر • والشين التي كالجيم ، نحو قولهم في أشدق : أجدق •

والحروف التي لا تُستَحسَن ثمانية : وهي الكاف التي بين الجيم والكاف، نحو : كلهم عندك • والجيم التي كالكاف، نحو قولهم للرجل : رگل • والجيم التي كالشين ، نحو قولهم : خرشت •والطاء التي كالتاء ، كقولهم : طلب • والضاد الضعيفة ، كقولهم فيأثرد : أضرد • والصاد التي كالسين في قولهم ــ

صدق . والظاء التي كالثاء ، كقولهم :ظلم . والفاء التي كالبـاء ، كقولهم : فرند »[١٧] .

أما تأليف الحروف فيقسمه ابن سنان ثلاثة أقسام : « فالأول تأليف الحروف المتباعدة ، وهو الأحسن المختار ، والثاني تضعيف هذا الحرف نفسه ،وهو يلي هذا القسم في الحُسْن . والثالث تأليفالحروف المتجـاورة ، وهو إما قليل في كلامهم ، أو منبوذ رأساً ، لما قدّمناه .والشاهد على ما ذكرناه الحسّ ، فـإن الكلفة في تأليف المتجاور ظاهرة ، يجدهاالانسان من نفسه حال التلفّظ »[١٨] .

وابن سنان ، وإن عمد إلى النقدالتطبيقي ، يلجأ في كثير من الأحيان إلى النقد الذوقي في التعليل والتفسـير ، فيحيل إلى الذوق الحُكم النهائي .

وإذا كان تكرار الحروف المتجاورة قبيحاً عنده ، فان « تكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع ، إلا ما كان التكرار فيه لغرض[١٩] . وحدّ ذلـك ، عنده ، أن يكون المعنى « مبنياً عليه ومقصوراً على إعادة اللفظ بعينه »[٢٠] .

ويظهر الأثر اليوناني الأرسطي واضحـاً في حديثـه عن قيمـة المعنـى في الكلام[٢١] . فالفرق بين الانسان والحيوان هو النطق . غير أن للكلام نوعين : نوعاً رفيعاً وهو ما أفاد معنى ، ونوعـاًمبتذلاً وهـو ما اكتفى فيـه صاحبـه بالشكـل الظاهري للمنطوق . وعلى الانسـان أن يسعـى ويجتهـد لادراك النوع الأول . أما الاكتفـاء بتقليـد الصورة الخارجية للكلام ، فهذا أسوأ من الصمت ، بل إن الصمت ـ في هذه الحال ـ أفضل من الكلام . وعليه ، يمكننا أن نميز بين ثلاثة أنواع من الناس، بحسب المقدرة على الكلام، وأداء المعاني: الصامت، والصامت الناطق ، والناطق . وأسوا هذه الأنواع الثاني ؛ إذ يفضله الأول ، من حيث إن الصمت خير من الكلام الفارغ ، ويتقدم عليه الثالث ، مـن حيث اكتمال معنى النطق لديه ، بجمعه بـين الشكل والمضمون الرفيع الشريف .

ولكي يكون المعنى شريفاً فصيحاً بليغاً، ينبغي أن يتحلى بصفة الوضوح، سواء أكان هذا الكلام نظماً أم نثراً[٢٢]

غير أن هناك أسباباً تؤدي إلى غموض الكلام ، وعددها ستة :

أ ــ اثنان منها في اللفظ بانفراده : كأن تكون الكلمة غريبة ، أو من الأسماء المشتركة ٠

ب ــ واثنان في تأليف الألفاظ : كفرط الايجاز ، أو إغلاق النظم كما في أبيات المعاني عند المتنبي ٠

حـ ــ واثنان في المعنى : كأن يكون في نفسه دقيقاً ، أو أن يحتاج في فهمه إلى مقدمات ٠

وإذا كان ابن سنان يرفض الغموض في الكلام ، فانه يقبل الألغاز الشعرية ، لأن الغموض فيها مخالف لما ذُكر في الكلام المتقدم ، وغرضه امتحان أفهام الناس ؛ « حتى صار يحسن فيه ما كان ظاهره يدل على التناقض ، أو ما جرى ذلك ، كما قال بعضهم في الشمع :

تحيا اذا ما رؤوسها قُطِعت   وهُنَّ في الليل أنجمٌ زُهُرُ »(٢٣)

٧ ــ الخيال والصور البلاغية :

يَعُدّ ابن سنان الاستعارة من فنون الصناعة الشعرية ، بل إنه « من وضع الألفاظ في موضعها حسن الاستعارة »(٢٤) ٠ وهي عنده نوعان ، وذلك من حيث الطبع والتكلّف : « قريب مختار وبعيد مطّرَح ٠ فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استُعير له تناسب قويّ وشبه واضح ٠ والبعيد المُطّرَح إما ان يكون لبعده مما استُعير له في الأصل ، أو لأجل أنه استعارة مبنية على استعارة فتضعف لذلك »(٢٥)

وإذا كان هذا الفن معروفاً عند القدماء فان المُحْدَثين قد أوردوه بكثرة في أشعارهم ٠ وممن أكثر استعماله أبو تمام(٢٥) ٠

ويعمد ــ كعادته ــ إلى التطبيق ، فيذكر من أمثلة الاستعارات القبيحة المتكلّفة قول أبي تمام :

وكم أحرزت منكم على قبح قدّها   صروفُ النوى من مُرهفٍ حسن القد

ويعلق عليه بقوله : « فان استعارة القد لصروف النوى من أبعد ما يقع في هذا الباب وأقبحه ، وإنما يقود أبا تمام إلى هذا وأمثاله ، رغبته في الصنعة ،

حتى كأنه يعتقد أن الحسن في الشعر مقصور عليها ، فيورد منه لأجل التكلف ما لا غاية لقبحه ، ويسعده الخاطر في بعض المواضع ، فيأتي بالعجائب والغرائب »[٢٦] .

وإذا كان التكلف وراء أمثلة هذه الاستعارات غير المتناسبة ، فمن أمارات الصنعة والفن عند ابن سنان ، التناسب في الصورة . وهذا ما تحقق في قول الشريف الرضي :

وما نطفةٌ مشمولةٌ في مجَمَّةٍ ... وعاها صفاً من آمن الطَّود فارع
من البيض لولا بَرْدُها قلتُ دمعةٌ ... مرنَّقةٌ ما أسلمتها المدامع[٢٧]

وسبب استحسانه لهذين البيتين أن الشاعر « استعار لأعلى الجبل الأمن ، عبارة عن الارتفاع وتعذر الوصول إليه، وهذا لائق محمود في الصناعة، ومعلوم عند أهلها . وما زلت أسمع أبا العلاء يقول : إن من الشعر ما يصل إلى غاية لا يمكن تجاوزها . وهذا البيت عندي من ذلك القبيل ، حُسناً وصحة نسج وعذوبة لفظ »[٢٨] .

٨ ـ البديع :

خلاصة مذهب ابن سنان في البديع « بُغض الاكثار والاطالة ، وتجنب الاسهاب في فن واحد من فنون الصناعة »[٢٩] . فهو يميل إلى البديع متأثراً بعصره ، غير أنه في الوقت ذاته يدعو إلى الاقتصاد فيه ، وعدم تكلف الجهد في طلبه ، ليكون بالتالي تابعاً للمعاني ، لا يُكرِه الشاعر نفسه ومعانيه في طلبه[٣٠] .

فالاقتصاد عنده أمر رئيسي في استخدام فنون البديع ، لأن كثرته دليل التكلف والتصنع[٣١] . وهذا خلاصة كلامه على الجناس والطباق في الشعر العربي . وهو في ذلك كله يعمد إلى التطبيق ، مورداً الشواهد لجيّد البديع وقبيحه .

ويشير في معرض حديثه عن مصطلحات فنون البديع التي اقترحها ، إلى الاختلاف بينه وبين غيره من النقاد فيها[٣٢] .. فهم وإن اختلفوا في التحديدات، فان الموضوع واحد .

٩ ـ موسيقا الشعــر :

حد الشعر عند ابن سنان أنه « كلام موزون مُقفى يدل على معنى »(٣٣) · وشرح ذلك قوله : « وقلنا (كلام) ليـدل على جنسه · وقلنا (موزون) لنفرق بينه وبين الكلام المنثور الذي ليس بموزون · وقلنـا (مُقفى) لنفرق بينـه وبين المؤلَّف الموزون الذي لا قوافي له ·وقلنا (يـدل على معنى) لنحترز من المؤلَّف بالقوافي الموزون الـذي لا يدلعلى معنى »(٣٤) · والشعر لا يطلـق عنده على البيت الواحد ، فأقل ما يقععليه اسم الشعر بيتان ، لأن التقفيـة لا تمكن في أقل منهما ، ولا تصح فيالبيتالواحد ، لأنها مأخوذة من قفوت الشيء إذا تلوته »(٣٥) ·

فالوزن والقافية هما اللذان يميزان الشعر من النثر(٣٦) ، ومعرفة الوزن ممكنة عن طريق الذوق أو العروض ·ويلوح لنا هنا أنه يُحكّمُ التراث فيشؤون الذوق والعروض ، فما جاء مطابقاً لما وقع للعرب جائز ، وإن لم يشهد الذوق بصحته ، أما ما خالف الذوق والتقليـدالشعري فهو مرفوض ·

لكنه يتابع حديثه فيقدم الذوق على العروض ، « فكل ما صح فيه لم يلتفت إلى العروض في جوازه » ·(٣٧) ·

والتناقض واضح هنا ، فهو يجيز أولاً ما جاء مطابقاً لما وقع للعرب ، وإن رفضه الذوق ، ثم يقدم الذوق على العروض · غير أنه يستدرك فيقبل بعض ما يصح بالعروض ، وإن فسد في الذوق(٣٨) ·

وخلاصة موقفه أنـه يقدم الذوق على العـروض ، فـان ورد ما يخالف الذوق ويطابق ما وقع للعرب فمقبول لاعيب فيه ·

أما القوافي فنراه يرفض المتكلّف منها(٣٩) ، وينصح الشاعر بالابتعاد عن القوافي الصعبة ، مما قد يؤدي إلى توعُّر الألفاظ والعناءوالتكلفوالزلل(٤٠).

ومما يتصـل بالقافيـة أيضـاً ما يسمـى بالايغـال في علـم البديـع · « وأرادوا بذلك أن الشاعر يوغل بالقافية في الوصف إن كـان واصفاً ، وفي

التشبيه إن كان مُشبِّهاً »[41] • وهذا النمط من مظاهر التكلف في الشعر ، إذ إنه ليس لازماً للمعنى المُبدَع ، وإنماهو فضلة في الكلام لاقامة القافية •

فاذا تعذرت القافية ، فان ابن سنان يدعو إلى ترك البيت الشعري كله[42]. أما التناسب فشرط ضروري في الشعر ، تستدعيه إقامة الوزن ، « فلا يمكن اختلاف الأبيات في الطول والقصر »[43] • وذلك بشرط ألا يكثر الزحاف فيؤدي إلى الانكسار • فهذا يُخرج الكلام من باب الشعر ، لأنه يُجانف الذوق وإن كان مستقيم العروض • أما اليسير من الزِّحاف فمقبول ، فالخليل نفسه كان يستحسن بعض الزِّحاف في الشعر إذا قلَّ • فهو عند العرب أشبه باللثغ في الجارية ، يُشتهى منه القليل » •

١٠ ـ طبيعة الابداع :

يناقش ابن سنان أيضاً موضوعاً على قدر كبير من الأهمية في ميدان النقد ، فنراه يدعو الشاعر إلى سوء الظن بالنفس ، رغبة في تجويد الشعر وطلب الأجود دائماً • وهو في ذلك يربط بين الكلام والمبدِع : فلما كان الكلام عنوان عقل الشاعر ، وجبت العناية بتثقيفه ، ليخرج أحسن مخرج • ولا غضاضة ، في سبيل ذلك ، في استشارة أهل العلم والمعرفة • « فان كلام الانسان ترجمان عقله ومعيار فهمه وعنوان حسه ، والدليل على كل أمر ، لولاه لخفي منه ، وبحسب ذلك يحتاج إلى فضل التثقيف ، واجتماع اللب عند النَّظم والتأليف »[44] • أما بذل الجهد، والمشقة في الاختيار والتثقيف ، فهذا يُخرج الشعر إلى التكلُّف[45] •

١١ ـ التقليد والتجديد :

يشكو ابن سنان من أهل عصره ، ومن ضياعه وسط فسادهم ، في عصر سيطر الأتراك فيه وانحلت الأخلاق[46]؛ فكان لا بد أن يتأخر الشعر ، ويميل إلى الزخرف والتكلف الشكلي • ولعل لمخالطة الأتراك أثراً في الابتعاد عن الصفاء اللغوي والطبع والسجية[47] • فللحضارة عنده أثرها الكبير في التحول عن الطبع

إلى التكلف ، وسبب ذلك مخالطة الأعاجم. وكأن الشاعرية والسجية مرتبطتان بالصفاء البدوي .

ولكن أيهم أفضل : القدماء أم المحدثون ؟

يرى ابن سنان(٤٨) أن هناك فئة تقدم شعر القدماء على شعر المحدثين عامة، وهي طائفتان : طائفة جعلت العلة في الزمان ، وطائفة جعلتها في تقدم القدماء في المعاني . وكلا الطائفتين تستند إلى مقولة طبع القدماء وتكلف المحدثين .

أما ابن سنان فيرد على الطائفتين ،إذ يرفض إلصاق صفة الطبع بالقدماء عامة ، وقصر التكلف على المحدثين وحدهم . فالتنقيح عند زهير من مظاهر التكلف في الشعر القديم . وهو هنا يخلط بين الصنعة والتكلف ، بعدما كان قد ميّز بينهما .

وخلاصة الموقف عنده أن القدماء والمحدثين على السواء ، لهم المطبوع والمتكلف في الشعر ، « فالزلل في طباع البشر موجود ، والعصمة عن أكثرهم بائنة »(٤٩) ، لا يختلف في ذلك قديم أو مُحدث .

تقويم :

يرى د. محمد زغلول سلام : « أن ابن سنان عالِم يحكّم عقله، وليس ناقداً يحكّم ذوقه وخبرته بالنصوص ،وتلمّسه لأسرار الجمال فيها ، وإن كنا لا ننفي جهده في الكتاب ، ولا ننكر فضله في أنه وضع به الأساس العلمي لاتجاه أصحاب البديع ، وبذلك صار (سر الفصاحة) حجتهم في الاهتمام بالألفاظ ، كذلك كان كتابه عمدة علماء البلاغة في مصر والشام ، فقد كشف عن فلسفتهم في البديع »(٥٠) .

غير أننا نلاحظ أن ابن سنان جمع بين العلم والذوق ، فمال بكتابه لأن يجعل النقد علماً ، من غير أن يحرمه من جماليات الذوق . وهذا ما لمحناه في نقده التطبيقي ، وفي دعوته الصريحة الى تقديم الذوق على العروض .

□ الحـواشـي :

١ ـ الأعلام للزركلي ١٢٢/٤ •
٢ ـ د. سلام : تاريخ النقد العربي ٢٥٤/٢ •
٣ ـ د. سلام ٢٥٤/٢ •
٤ ـ د. سلام ٢٥٨/٢ •
٥ ـ د. سلام ٢٥٣/٢ •

٦ ـ سر الفصاحة ١٠٥/١٠٣ •
٧ ـ سر الفصاحة ٣٤٣ •
٨ ـ سر الفصاحة ٧٧ •
٩ ـ سر الفصاحة ١٠٣ •
١٠ـ سر الفصاحة ٣٤٣ •

١١ـ سر الفصاحة ١٠٣ •
١٢ـ سر الفصاحة ٢٤٠ •
١٣ـ سر الفصاحة ٢٤٠ •
١٤ـ سر الفصاحة ١٠٣/١٠٢ •
١٥ـ سر الفصاحة ١٠١/٦٦ •
١٦ـ سر الفصاحة ١٠١/٦٥ •
١٧ـ سر الفصاحة ٢٢ •
١٨ـ سر الفصاحة ٥٩/٥٨ •
١٩ـ سر الفصاحة ١١٤/١١٣ •
٢٠ـ سر الفصاحة ١١٩ •

٢١ ـ سر الفصاحة ٦٣/٦٢ •
٢٢ ـ سر الفصاحة ٢٥٩ •
٢٣ـ سر الفصاحة ٢٦٥ •
٢٤ـ سر الفصاحة ١٣٤ •
٢٥ ـ سر الفصاحة ١٣٦ •
٢٦ـ سر الفصاحة ١٥٥ •

٢٧ـ ديوان الشريف الرضي ٦٥٩/١ ـ المَجَمّ : الصدر • الصفا : جمع الصفاة : الصخرة • الطَوْد : الجبل العظيم • الفارع : المرتفع • رنـق الماء : صفـّاه •

٢٨ـ سر الفصاحة ١٥٦/١٥٥ •
٢٩ـ سر الفصاحة ٣٤٣ •
٣٠ـ سر الفصاحة ٢١٢ ـ في كلامه على (لزوم ما لا يلزم) •

٣١ـ سر الفصاحة ٢٢٤/٢٢٢ ـ في كلامه على التصريع والترصيع •
٣٢ـ سر الفصاحة ٣٣٧/٣٣٦ •
٣٣ـ٣٤ـ سر الفصاحة ٣٣٧ •
٣٥ـ سر الفصاحة ٣٣٨ •
٣٦ـ٣٧ـ سر الفصاحة ٣٣٩ •
٣٨ـ سر الفصاحة ٣٣٩ •
٣٩ـ سر الفصاحة ٧٦ ـ تعليقا على بيت لأبي تمام •
٤٠ـ سر الفصاحة ٢١٠ ـ تعليقا على بيت لابن نباتة •
٤١ـ سر الفصاحة ١٨١ ـ تعليقا على بيت للأعشى •
٤٢ـ سر الفصاحة ١٨٢ •

٤٣ـ سر الفصاحة ٢٢٦/٢١٥ ـ تعليقا على قصيدة عبيد، فالزحاف قبيح وان كان مستقيما في العروض •
٤٤ـ سر الفصاحة ٣٤٣ •
٤٥ـ سر الفصاحة ٣٣٤/٣٣٣ ـ وهو موقفه من زهير •
٤٦ـ انظر شعره في مقدمة المحقق ك.م •
٤٧ـ سر الفصاحة ١٥٠/١٤٩ •
٤٨ـ سر الفصاحة ٣٣٤/٣٢٧ •
٤٩ـ سر الفصاحة ٨٢ •
٥٠ـ تاريخ النقد العربي ٢٦٣/٢ •

☆ ☆ ☆

□ المصـادر والمراجـع :

١ ـ الزركلي : الأعلام ، ج ٤ ، دار العلم للملايين ، ط ٩ ، ١٩٩٠ •

٢ ـ ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ـ مكتبة صبيح ، مصر ١٩٥٣ ـ تصحيح وتعليق : عبدالمتعال الصعيدي •

٣ ـ د. محمد زغلول سلاّم : تاريخ النقد العربي من القرن الخامس حتى العاشر ـ دار المعارف بمصر ـ د.ت •

نظرات من كتاب «الزهرة»

لمحمّد بن داود الأصفهاني

د. محمّد خير البقاعي

يعدّ كتاب (الزهرة) لمحمد بن داود الاصفهاني المتوفى (٢٩٦هـ) أو (٢٩٧هـ) أوائل الكتب التي عرضت لمعالجة موضوع الحب ، وقد ذاع صيته وطار خبره لما جمع فيه مؤلفه من آداب وأتى من نوادر ، فأنت تجد فيه مختارات من الشعر الرصين النادر الذي يعبّر عن الأحوال التي سيق للدلالة عليها • لقد طبع هذا الكتاب على مراحل أولاها العمل الذي قام به الأستاذ (نيكل) بمساعدة الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان فنشرا معاً النصف الأول من كتاب الزهرة في عام (١٩٣٢) ، وفي سلسلة منشورات الجامعة الأميركية في بيروت وذلك عن مخطوطة دار الكتب المصرية ذات الرقم (٧٢٤٦) •

ثم قام الأستاذان الدكتوران نوري حمودي القيسي رحمه الله وابراهيم السامرائي مدّ الله في عمره ، قاما ، باصدار النصف الثاني من الكتاب عام (١٩٧٥) في سلسلة مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام العراقية وذلك عن مخطوطتي المتحف العراقي ومكتبة تورينو الايطالية •

ثم قام الدكتور إبراهيم السامرائي باخراج الكتاب كاملاً عام (١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٥ م) وصدر عن مكتبة المنار الأردن ــ الزرقاء •

ونجده يقول في الصفحة (٢١) من المقدمة : (وقد وقفت على النصف الأول المطبوع الذي نشره نيكل وطوقان فبدالي أنّ عمل الناشرين معوز ، وأن فيه من الأوهام الكثيرة ما يحفزني على اعادة نشره ••• انّ الأوهام التي

حفل بها هذا النصف الأول من الكتاب تتصل بمسائل عدة منها أنّ الأعلام قد عرض لها من التصحيف والخطأ الشيء الكثير .

ومن الأوهام ما يتصل برواية الشعر فقد حفل الكتاب بمختارات كثيرة وقد عرض التصحيف والخطأ لكثير من الشعر ، وفيه ما اشتهر وعرف في روايته ، وليس من عذر في ارتكاب الخطأ فيه ... وكنت قد جمعت هذه الأوهام وضمنتها مقالة نشرت في مجلة معهد المخطوطات (الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين) .

أما بخصوص النصف الثاني فيقول الدكتور السامرائي في مقدمة نشرته (٢/٤٩٥) : (هذه نشرة جديدة للجزء الثاني من كتاب « الزهرة » راجعت فيها النشرة الأولى فصححتها وبرّأتها مما عرض لها من خطأ في الطبع وما أدى اليه سهو المصححين الذين عهدنا اليهم هذه المهمة العسيرة وما فاتنا نحن المحققين مما يجب ألا نقع فيه . ثم أنّي ضبطتها بالشكل وزدت في تعليقاتها لتكون أوفى بالغرض الذي ابتغيناه في نشرتنا الأولى ...) .

ولكن مراجع الكتاب يجد أن طبعة الدكتور السامرائي ليست أحسن حالا من طبعة (نيكل وطوقان) في النصف الأول ، لأن تقويم كتاب صدر في عام (١٩٣٢) يختلف عن تقويم الكتاب نفسه عندما يصدر عام (١٩٨٥) وقد طبع كثير من الكتب ودواوين الشعر التي تساعد المحققين في عملهم . ولا أقول هذا دفعاً بالصدر وإنما أقوله بعد مقارنة بين المطبوعتين وتتبع دقيق وخصوصاً النصف الأول وكان ثمرة هذا التتبع مقالة طويلة تقع في مئة وخمسين صفحة تقريباً وفيها من التعليقات الطريفة الشيء الكثير ، وأرجو أن تجد طريقها الى النشر .

وأودّ أن أقف في هذه العجالة عند بعض المواضع التي ان دلّت على شيء فانما تدل على أن الوهم يظل أساس العمل في الكتب التراثية حتى يبرز ما ينفيه قطعاً ، لترامي أطراف تراث هذه الأمة الذي ينبغي أن نكون له خدماً ليبوح لنا بأسراره ، وحينئذ نصير قادرين على تجاوزه .

★ جاء في كتاب (الزهرة) ، ص١١٢ ، القسم الأول:

وقال محمد بن نصير :

لا أظلم الليل ولا أدّعي أنّ نجوم الليل ليست تغورْ
الليل ما شاءت فانْ لم تزر طال وان زارت فليلي قصيرْ

ولم يجد محقق الكتاب ترجمة لمحمد بن نصير ، ولكنه وجد في معجم الشعراء (ط · فرّاج) ، ٤١٤ :(محمد بن نصر المصري الكاتب ، كان من كتّاب ابن جدار ، فلما نُكِبَ ابن جدار صار محمد الى بغداد ، ثم انحدر الى البصرة أول ما فتحت ، ومات سنة ٢٨٠ هـ) ...

وقد خرّج الدكتور يونس السامرائي البيتين في شعر ابن بسام الذي نشره في كتاب (شعراء عباسيون)٢/ ٣٢١ ـ ٥٢٢ فقال : (التشبيهات ٢٠٨ ، وأمالي القالي ١/ ١٠٠ ،والمختار من شعر بشار ٢٠ وديوان المعاني ١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ، وزهر الآداب٨٦٧ ، ومحاضرات الأدباء ٣/ ٩٦ ، وبهجة المجالس ٢/ ٩١ ، والغيث المسجم١/ ١٦ ، ونهاية الأرب ٤/ ١٣٥، ونثار الأزهار ٢٦ ، والكشكول ٢/ ٣١٤ ، وبدون نسبة في الحماسة الشجرية ١٤، وديوان الصبابة ١٢٨) ، انظر الصفحة ٤٢٦ من شعر ابن بسام ·

وواضح أن الدكتور السامرائي لم يشر الى أن صاحب (الزهرة) نسب الأبيات لمحمد بن نصير · ورأيت محمد بن نصير الكاتب في بهجة المجالس٢/ ١٦ .

وتطرح هذه الأبيات قضية لها علاقة بنص كتاب (الزهرة) في طبعته التي أخرجها الدكتور ابراهيم السامرائي (ط . مكتبة المنار ـ الأردن ـ الزرقاء) الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م ·

وقد جاء البيتان في كتاب (سرورالنفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي (ط. عباس) ص ٣١ · وفي حاشيته تخريج ، وفيه ٣٠ ـ ٣١ ، أنشد لعلي بن الخليل قوله :

لا أظلم الليل ولا أدّعي أنّ نجوم الليل ليست تزولْ
ليلي كما شاءت قصير اذا جادت وانْ صدّت فليلي طويل

أخذه ابن بسام فقال :

لا أظلم الليل ... ... **تغور**
ليلي ... ... **قصير**

وقال الدكتور إحسان عباس في الحاشية (١) ص (٣١) من كتاب سرور النفس : إن الأبيات في الزهرة (٢٨٩)(١٧) لعلي بن هشام ، وهي كما ذكرنا لمحمد بن نصير كما في (ط . الدكتور السامرائي) (١/١١٢) ٠ وإن علي بن هشام الذي نسبت اليه الأبيات الرائية في معاهد التنصيص ١/٢٦٦ تصحيف صوابه (علي بن بسام) وأبياته مأخوذة من أبيات لامية أنشدها صاحب (معاهد التنصيص) وصاحب (سرور النفس) وسبب هذا الاضطراب ما جاء في نصّ الزهرة (١/٣٨٨) :

(وأنشدني أبو الفضل بن أبي طاهر ، قال : أنشدني أبو دعامة علي ابن زيد لخليل بن هشام :

يقولون طال الليل والليل لم يطُل ... ولكن من يهوى مَن الهم يَسهرُ
وكم ليلة طالت عليّ بهجركم ... وأخرى تليها نلتقي فهي تَقصرُ

قال المحقق : لم أهتد الى أبي دعامة ، ولم أهتد كذلك الى خليل بن هشام) ٠

والحقيقة أن في النص النثري سقطا وزيادة وصوابه كما أرى : (وأنشدني أبو دعامة علي بن يزيد«أو ابن مرثد» « (لعلي بن) » الخليل) وتكون بذلك كلمة (هشام) زائدة ٠وعلي بن الخليل أحد شعراء الكوفة وظرفائهم ، طلبه الرشيد مع الزنادقة فاستتر طويلا ، ثم قصده بالرقة وهو شيخ كبيرة فأنشده قصيدة ساق المرزباني بيتين منها فآمنه ووهب له خمسة آلاف درهم. انظر معجم الشعراء ١٣٦ .

أما أبو دعامة العبسي فاسمه كما في الفهرست (ط . مصر) ٤٧ علي بن مرثد ، وفي إنباه الرواة ٤/١١٧ علي بن يزيد ، وهو من فصحاء العرب وصفه ابن النديم بأنه : علاّمة راوية،أطال المقام بالحضر ، وانقطع الى

البرامكة، وقال : قرأت بخط اليوسفي: اسمه علي بن مرثد ـ بالراء ـ وله كتاب الشعر والشعراء .

وجاء في زهر الآداب ٣/٨٠٣ ـ ٨٠٤ :

(وقال ابن بسام :

لا أظلم الليل ولا أدّعي   أنّ نجوم الليل ليست تغورْ
ليلي كما شاءت ، فان لم تزر   طال ، وان زارت فليلي قصيرْ

وإنما أغار ابن بسام على قول علي بن الخليل فلم يغيّر إلا القافية :

لا أظلم الليل ولا أدّعي   أنّ نجوم الليل ليست تزولْ
ليلي كما شاءت قصير اذا   جادت ، وان ضنت فليلي طويلْ

... وقد أخذ علي بن الخليل من قول الوليد بن يزيد بن عبدالملك ابن مروان :

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت   نامت وان أسهرت عينيّ عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها   والليل أقصر شيء حين ألقاها

وابن بسام في هذا الشعر كما قال الشاعر :

وفتى يقول الشعر الا أنه   في كل حال يسرق المسروقا)

وبيتا الزهرة (١/٣٨٨) هما مع ثالث بينهما لعلي بن الخليل في معاهد التنصيص (١/٢٦٦) قال :

(وأورد ابن الصولي لابن الخليل أيضا قوله « من الطويل » .

يقولون : طال الليل ، والليل لم يطل   ولكن من يهوى من الشوق يسهرُ
أنام اذا ما الليل مهّد مضجعي   وأفقد نومي حين أجفى وأُهْجَرُ
فكم ليلة طالت عليّ لصدّها   وأخرى ألاقيها بوصلٍ فتقصرُ)

وبيتا الزهرة في معجم الشعراء : ١٣٦ .

★ وجاء في الزهرة (١/١٢٩) ،وقال ابن مرداس :

وأهوتْ لِتنتاش الرواق فلم تَقُمْ اليـه ولكـن طـاطـاتـه الـولائدُ
قليلـة لحـم الناظريـن يزينهـا شبـابٌ ومخفوضٌ من العيش بـارد
تناهـى الى لهـو الحـديث كأنهـا أخـو سقـم قـد أسلمتـه العوائـدُ
ترى القرط منهـا في فَنَـاه كـأنه بِمَهْلَكةٍ لـولا العرى والمعاقـدُ

ابن مرداس ، لم يأت المحقق بشانه بما يفيد ، وكان عليه أن يفكر بأشهرهم وهو العباس بن مرداس السلمي الشاعر المخضرم أحد أشراف سليم وشعرائهم وأحد فرسان الجاهلية المذكورين (انظر مقدمة ديوانه ، تح٠د٠ يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٦٨) ٠ والأبيات الثلاثة الأولى بتقديم الثاني على الأول في شرح المرزوقي على الحماسة (١٣١٠/٣) (٥١٢) وعنه ديوانه:١١٦(٤٢).

وعنـد التبريزي في شـرحه على الحماسة (١٤٩/٣) وقال آخر ، وقيل هو عتبة بن مرداس ٠ وللعباس خماسية اخرى من وزن هذه وقافيتها ، انظر شرح الحماسة (مرزوقي) (١/٤٣٧ـ٤٣٩) ، (١٥٠) ٠ قـال المرزوقـي في شـرح البيت الأول :

(فالانتياش : التناول ، يصفها بأنهـا مخدّمـة ٠٠٠ حتى إذا أرادت تناول رواق البيت لم تترك والقيام إليه ، ولكن قدمته الولائد وأمَلْنَه لها حتى نظرت إلى ما وراءه) ٠

وجاء في سمط اللآلي (٦٨٦/٣) : (ويصحف هـذا الاسم « عتيبة » بعيينة من قديم ، كما في فحولة الشعراءللأصمعـي ، والأغانـي ١٤٣/١٩ في أخباره ، والبلدان (ز م) ٠وهو شاعرمخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ويعرف بابن قسوة ، وفي مختـار الأغاني لابن منظور في أخباره : عتيبة بن مرداس ، وترجم له في الاصابة ٦٤١١ ، والشعراء ٢١٧) ٠ وفي تاج العروس (الكويت) عتب (٣١٤/٣) أنـه شاعـر مقل ٠عـن حاشيـة الحماسـة الشجريـة (٤٣٢/١ ـ ٤٣٣) ٠

★ وجاء في الزهرة (١٣٠/١) :

وقال الركّاض الزبيدي :

وما أثرتْ حبي على نومةِ الضحى لها مهنةٌ يوماً ولا باكرت طعْمَا
ولا أنمَاتْ يوماً حديثاً لجارةٍ تُعَذِّرُ من انمَائِه بعدما يُنْمى

قال المحقق : لم أهتد إلى ترجمته .

وأقول : إن صواب نسبته (الدُّبيري) كما في التاج (ط. الكويت) (ركض (٣٦١/٨) وهو الركّاض الدبيري راجز مشهور تصفحت نسبته في المحب والمحبوب (٥٧/٢) فأصبح (الركّاض الزبيري) . وسيأتي مصحفاً في الزهرة (٣٩٦/١) أيضاً (إلى الزبيدي) . وهو : ركّاض بن أبّاق الدبيري في لسان العرب وقد أنشد له صاحب اللسان في سبعة مواضع (كلب – دبس – هضض – خيض – ينبع – مزن – رأي) عن معجم الشعراء في لسان العرب (١٧٨) .

وانظر : معجم شعراء أساس البلاغة ، صنعة الأستاذ عرفان عبد الباقي الأشقر ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد (٣١) ١٩٨٦ م ، صفحة (٢٤٤) .

أما الأبيات فلم أجدها ، ولعلها من قصيدة واحدة مع البيتين الواردين في الزهرة (٣٩٦/١) ، وكذلك الأبيات الثلاثة الواردة في المحب والمحبوب (٥٨/٢) والأبيات هي :

فيا مَن لِعينٍ قد أضرَّ بها البكا فهل حاولت من طول ما سجمت تَعْمَى
وقلبٍ كئيبٍ لا يزال كأنما يقلّب في أعراضه مَيْسَمٌ مُحْمَى
وما آثرت حبي على نومةِ الضحى لها مهنةً يوما ولا باكرت طعما
ولا أنمأت يوماً حديثاً لجارة تُعَذِّر من انمائه بعدما يُنْمَى
ترامي فنرمي نحن منهنَّ في الشوى ويرمين لا يعدلن عن كبدٍ سهما
اذا ما لبسنَ الحَلي والوشي أشرقت وجوه ولبّات ليسلبننا الحلما
ولشن السُبُوب خِمْرَةٌ قرشية زبيرية يَعْلِمْنَ في لوثها عَلْمَا

والأبيات (٥،٦ و ٧) في البيان والتبيين ٣٥٤/٢ (ط. هارون) منسوبة لـ

(ركّاض) ، ولم يذكر الجاحظ نسبته • والثالث في اللسان والتـاج (علم) بلا نسبة •

وعلى ذلك يكون (الزبيدي) في (الزهرة) تصحيف (الدبيري) وجاء في اللسان (دبر) و (دُبَير) : قبيلة من بني أسد) ،وقال صاحب التاج (ركض) ٣٦١/٨ : وهو راجز مشهور ، وانظر التاج (دبر) • أمـا أبـوه أبّاق فهو شاعر دبيري مشهور ، كنيته أبو قريبة • وفي التكملة (راجز) مكان شاعر ، وهو بالرجز أشهر ، وفي اللسان (من رجازهم) انظر التاج (أنف) ٦/٥ •

★ وجاء في (الزهرة) (٣١٤/١) :

وقال عبد الرحمن بن دارة :

كأنّ غريبـاتِ العيـونِ بهـا رمـدُ	نَظَرْتُ ودونٌ مـن نصيبيـن دوننـا
ذرى المُـزْنِ علويـًا وكيف لنا يبـدو	لكيمـا أرى البـرقَ الذي أومضَتْ به
قـوىً من جبال لم يُشَدّ لهـا عَقْدُ	وانّي ونجـداً كالقريبَيْـن قَطّعـا

قال المحقق : لم أهتد إلى ترجمته •

وعبد الرحمن أشهر من أن يخفى على مثل الدكتور السامرائي ، فهو أخو الشاعر المشهور سالم بن دارة • وعبدالرحمن عاصر الكميت الأوسط ،وأدرك بداية العصـر الأموي ورثى صديقه السمهري العكلي ،وكان كلا الأخوين من أصحاب الأهاجي المقذعة ، وهلكا انتقاماً منهما لتطاولهما ، ونُسبا إلى أمّهما دارة القمر • انظر ترجمته في : الأغاني٤٩/٢١ ـ ٧٥ ، المؤتلـف والمختلـف للآمدي ١١٦ ، وأنشـد له البغدادي في الخزانـة ٣٩٥/١١ • وانظـر تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (الترجمةالعربية) ، مج٢ ، ج٢ ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، وحواشي الوحشيات ، ص٢٠٧،و ٢٠٨ •

أما الأبيات فهي لعبد الرحمن مـعآخرين في معجم البلدان (عاقل) ٩٦/٤، وأنشد له ياقوت فيمعجمه (نجد ٢٦٤/٥) بيتاً هو مع هذه الأبيات من كلمة وانظر ثاني الأبيات مع ثلاثة أخرى فيمعجم البلدان (حمص) ٣٠٣/٢ منسوبة لعبد الرحمن •

★ وجاء في (١/ ٣٢١) :

وقال آخر :

لمن ضوءُ نارٍ بالبطاح كأنها — من الوحش بيضاء اللَّبان سَلُوبُ
اذا صدّعتها الريح بان بضوئها — من الأثل فرعٌ يابسٌ ورطيبُ
يراها فيرجوها وليس بآيسٍ — وفيها عن القصد المبين نُكُوبُ
فأمّا على طلاّبِ بانٍ فساعةٌ — وأمّا على ذي حاجةٍ فقريبُ

مما لم يخرجه المحقق · والأبيات في حلية المحاضرة للحاتمي ٢/٢٠٣ منسوبة لابن أراكة الواليسي ، وقدّملها بقوله :

(أنشدنا علي بن أحمد النوفلي ،قال : أنشدني أحمد بن أبي طاهر لابن أراكة الواليسي ، قال : ولم يُقَلْ في هذا المعنى أحسن منه ···) ·

وأظن صواب النسبة (الوالسي) نسبة الى (والس) ، وهي مدينة من أعمال أصفهان ، انظر معجم البلدان (والس) ٥/٣٥٥

وجاءت رواية ثاني الأبيات في الحلية ·

اذا صدّ عنها الريح قرّب ضوءها · · ·

ورواية الرابع :

فأمّا على كسلان وان · · · · · ·

وقد وجدت البكري في اللآلي : ٦٢٧ ينسب شعراً أنشده القالي الى عبدالله بن أراكة الثقفي ، فهل تكون (الوالسي أو الواليسي) محرّفة عن (الثقفي) ؟

انظر (الكامل) للمبرد (ط الدالي) ٣/١٣٨٥ وانظر تعليق المحقق في الحاشية ·

وقال المرحوم العلاّمة عبدالعزيزالميمني : ان الأبيات التي نسبها البكري في اللآلي لعبد الله في الكامل ، والذي في الكامل (ط . الدالي) أنها لأراكة نفسه فلينظر ·

ورأيتها في كتاب حاشية « الدر الفريد وبيت القصيد » لمحمد بن أيدمر (ت ٧١٠ هـ) ، المجلد الخامس وهو الجزء الثالث من نسخة المؤلف (مخطوط) ، الورقة ٢٥١ (الحاشية اليمنى) منسوبة لابن أراكة الوالبي والرواية ·

١ ـ · · · · · · · · · · · · · شبوب

٢ ـ · · · · أرث ضؤها · · · · · ·

٣ ـ تراها فترجوها ولست · · · · · · · ·

٤ ـ وأمّا على كسلان وان فنازح · · · · · ·

هذه بعض المواضع التي أردت الوقوف عندها في كتاب (الزهرة الذي يحتاج قسمه الأول الى طبعة جديدة تخلّصه من أوهام التصحيف والتحريف وتخرّج كثيراً من الشعر الذي جاء غفلا من النسبة أو منسوباً لشعراء يحتاج القارىء الى معرفة تراجمهم ليأتي الكتاب موثقاً صحيحاً ·

والله من وراء القصد ·

☐ المصادر والمراجع :

١ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، تح عبدالستار فراج، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٩ م ·

٢ ـ أمالي الزجاجي ، تح عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٧ م ·

٣ ـ امالي القالي لأبي علي القالي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، مصورة عن طبعة دار الكتب

٤ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس ، وشحذ الذاهن والهاجس لابن عبد البر القرطبي ، ط· دار الكتب العلمية ، بيروت، بلا تاريخ ·

٥ ـ البيان والتبيين ، تح عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، بلا تاريخ ·

٦ ـ تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين (الترجمة العربية)، ط· جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م ·

٧ ـ حلية المحاضرة للحاتمي، تح د· جعفر الكتاني، العراق، وزارة الاعلام ، ١٩٧٨ م ·

٨ ـ حماسة أبي تمام :

آ ـ بشرح المرزوقي، تح احمدامين ، عبدالسلام هارون، طبع لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦١ م ·

ب ـ بشرح التبريزي ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا تاريخ ·

٩ ـ الخزانة ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، تح عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، ١٨٩٦م.

١٠ـ ديوان العباس بن مرداس ، جمعه وحققه د. يحيى وهيب الجبوري ، بغداد ، ١٩٦٨ م

١١ـ زهر الآداب لابراهيم بن علي الحصري القيرواني ، د. زكي مبارك ومحيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢

١٢ـ الزهرة لمحمد بن داود الأصفهاني ، تح د. ابراهيم السامرائي ، ط. دار المنار ، الأردن ، الزرقاء ، ١٩٨٥ م .

١٣ـ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، تح د. احسان عباس ، ١٩٨٠ .

١٤ـ سمط اللآلي لأبي عبيد البكري ، تح عبدالعزيز الميمني ، دار الحديث ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م .

١٥ـ شعراء عباسيون ، د. يونس السامرائي ، مجلدان ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا تاريخ .

١٦ـ الكامل للمبرد ، تح محمد احمد الدالي ، ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

١٧ـ المؤتلف والمختلف للآمدي ، ط. مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .

١٨ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصبهاني ، ١ـ٢ ، بيروت .

١٩ـ المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء ، تح مصباح غلاونجي وماجد الذهبي ، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٨٦ م

٢٠ـ معاهد التنصيص للعباسي ، محمد محيي الدين عبدالحميد، عالم الكتب ، بيروت ١٩٤٧ .

٢١ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ .

٢٢ـ معجم تاج العروس ، ط. الكويت ، لم يتم بعد ، ٢٨ مجلداً .

٢٣ـ معجم شعراء أساس البلاغة ، صنعة عرفان عبدالباقي الأشقر ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٣١ ، ١٩٨٦ م .

٢٤ـ معجم الشعراء للمرزباني ، تح عبدالستار أحمد فراج، منشورات مكتبة النوري ، دمشق ، بلا تاريخ .

٢٥ـ معجم الشعراء في لسان العرب ، د. ياسين الأيوبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠ م .

☆ ☆ ☆

من أعلام التراث العربي

محمّد بن يسير الرّياشي

مظهر رشيد الحجي*

١ ــ اسمه ونسبه ولقبه :

جاء في كتاب الأغاني : « محمد بن يسير الرياشي ، يقال : انه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي الاخباري الأديب ، ويقال انه منهم صليبة ، وبنو رياش يذكرون أنهم من خثعم ، ولهم بالبصرة خطة وهم معروفون بها . » ا هـ(١)

وجاء في الشعر والشعراء : « محمد بن يسير ، هو من أسد ، مولى لهم ، وكان في عصر أبي نواس ، وعُمّر بعده حيناً ، وقد يُتمثل بكثير من شعره . » ا هـ(٢)

وجاء في تلخيص المتشابه في الرسم : « محمد بن يسير أبو جعفر البصري الخثعمي شاعر مشهور وله شعر جيد كثير . » ا هـ (٣)

وجاء في الاكمال : « وأبو جعفر محمد بن يسير البصري شاعر مشهور ، وله شعر كثير جيد . وأخوه علي بن يسير شاعر أيضاً ، بصري . » ا هـ (٤).

وفي الحيوان للجاحظ : « وأنشدني محمد بن يسير لبعض المدنيين. » ا هـ(٥)
وفي البيان والتبيين : « وقال محمد بن يسير الرياشي . » ا هـ (٦) ،

(*) باحث وكاتب من سورية .

وفي القاموس المحيط : « وأبو جعفر وهومحمد بن يسير شاعر • » (٧) ، وفي تاج العروس : « وأبو جعفر وهو محمد بن يسير البصري • شاعر وهو القائل يرثي نفسه :

كأنه قد قيل في مجلس قد كنت آتيه وأخشاه
صار اليسيري الى ربه يرحمنا الله واياه

وكذا أخوه علي شاعر أيضاً ، ذكرهما الذهبي ، وولده عبدالله بن محمد بن يسير شاعر أيضاً ، ذكره الأمير • » ا هـ(٨) •

من كل ما تقدم نخلص الى أن شاعرنا هو « محمد بن يسير الرياشي البصري أبو جعفر »

وقد تعمدت استعراض المصادرالتي ورد فيها اسم الشاعر بهذه الصيغة، كما تعمدت أن أعرض وروده في كتب معاصريه من المؤلفين كالجاحظ ، وفي كتب العلماء الثقات الذين لم يبتعدواكثيراً في الزمن عنه كأبي الفرج الأصفهاني ، وفي كتب التراجم التي اهتمت كثيراً بضبط الأعلام ، ثم في المعجمات التي ترجمت له • تعمدت ذلك لأن كثيراً من كتب التراث التي ترجمت للشاعر قد أخطأت في رسم اسمه فوقعت في الوهم أو الخلط أو التصحيف أو التحريف • لقد وقع أولئك المؤلفون في الخطأ في اسم أبيه ، ولم يتوقفوا في وهمهم هذا عنده بل تجاوزه بعضهم الى نسبه ولقبه أيضاً •

وانما أتي هذا الشاعر من تشابه اسمه ، عند تصحيفه أو تحريفه ، باسم آخر هو « محمد بن بشير الخارجي »(٩) ، وهو شاعر أموي متقدم في زمانه على محمد بن يسير ، وربما كانت علة التقدم هذه مع جهل المتأخرين من المؤلفين والنسّاخ بابن يسير ، أو ميلهم الى القديم اذا اشتبه عليهم الأمر ، أو لأن الخارجي أكبر شهرة وأذيع صيتاً لديهم، ولأن التصحيف في اسم الأبوين (يسير ـ بشير) هين يسير اذا سقط النسب (الرياشي ـ الخارجي) من الكتاب الذي ينقل الناسخ عنه، وهذا كثير ، فالجاحظ في البيان يكتفي بالقول « أنشدنا ابن

يسير » أو « أنشدني محمد بن يسير » • ولم يذكر نسبه سوى مرة واحدة اذ قال : « وقال محمد بن يسير الرياشي »[١٠]

أقول ربما كانت علة التقدم مع ما تضافر معها من أسباب ، هي السبب فيما أصاب اسم الشاعر من تصحيف أو تحريف • وكان الجاحظ في بيانه وحيوانه من أقدم المؤلفين الذين لم يقعوا في الوهم في اسم الرياشي ، لأنه كان معاصراً له ناقلا عنه ، أما الذين جاؤوا بعد ذلك ممن نعدهم من المتقدمين الذين لم يبتعدوا في الزمن كثيراً عن الشاعر ، أو المتأخرين عنه ، فقد وقعوا في الوهم باسم أبيه والخلط بين (يسير وبشير) كما في أصول الأغاني ، أو باسم أبيه ونسبه ولقبه (محمد بن يسير الرياشي ومحمد بن بشير الخارجي) كما عند المتأخرين من الكتّاب •

ولئن كان أمر الوهم في اسم الشاعر مختلفاً عند أبي الفرج ، فانه ليس كذلك عند المتأخرين • انه عند الكثيرين من المتأخرين خلط أو وهم أو تحريف أو تصحيف ، أما عند أبي الفرج فهو ، فيما أرى ، تصحيف حاصل من النسّاخ في الأغلب الأعم • ذلك لأن أبا الفرج في ترجمته للرياشي انما يترجم – وهو العالم المتثبت – لشاعر عباسي ، ويوردفي ترجمته من الحوادث وأسماء الأعلام ما يثبت زعمي هذا ويؤكده ، ومع ذلك فقد صُحف اسم الشاعر في أصول الأغاني المخطوطة وبعض النسخ المطبوعة فورد « محمد بن بشير » ثم صوب المحققون هذا الاسم معتمدين على القاموس المحيط وتاج العروس والشعر والشعراء فكان « محمد بن يسير الرياشي »[١١] •

ولئن ميز صاحبا الاكمال والتلخيص بين الشاعرين فترجما لمحمد بن يسير الرياشي كما ترجما لمحمد بن بشير الخارجي ، فان الأمر لم يكن كذلك عند غيرهما من المؤلفين[١٢] فشاعرنا في الوافي بالوفيات : « محمد بن بشير الحميري البصري أبو جعفر مولى بني سدوس وقيل مولى بني هاشم وقيل هو من جذام • » ا هـ[١٣]

لقد وقع الخلط في اسمه كما وقع في نسبه فجعله (ابن بشير) كما جعله من حمير مرة وأخرى مولى وثالثة من جذام ؛ وعاد في الصفحة التالية ليقول :

« محمد بن بشير ، قال صاحب الأغاني: هـو مـن بني رياش من خثعم • »[١٤] مبقياً على التصحيف باسم أبيه (بشير) مضيفاً (خثعم) إلى نسبـه • وبنو رياش يعودون إلى خثعم في نسبهم

أما في الابانة فهو: «أبو جعفر محمد بن بشير البصري المعروف بزريق »[١٥] وكأنما ينسى صاحب الابانة ما قال هنا، لأنه يقول بعـد قليل : « أبو جعفر محمد بن بشر الحميري • »[١٦] إنه يخلطفي اسـم الشاعر فيجعله (ابن بشير) مرة ، ويجعله (ابن بشر) أخرى ، كمايخلط في نسبه فيجعله (حميرياً) ثـم يضيف إليه لقباً جديداً هو (زريق)

لقد صحف اسم الشاعر في العديدمن كتب التراث ، فكان محمد بن بشير أو بشر كما في « المحاسن والمساوىء[١٧] والعمدة[١٨] وربيـع الأبرار[١٩] وتأويل مختلف الحديث »[٢٠] وغيرها من المصادر • علـى أن بعض المؤلفين ميـز بين الشاعرين (الرياشي والخارجي) على الرغم من إيراد اسم الرياشي مصحفاً بابن بشير • ونموذجنا هنا كتاب الدر الفريدالذي غالباً ما يضيف كلمة (البصري) إذا أراد نسبة الشعر إلى محمد بن يسير، فيقول : (محمد بن بشير البصري) ويسكت عن النسبة إذا أراد الخارجي مكتفياً بالقول: (محمد بن بشير) وهو يريد محمد بن بشير الخارجي[٢١] •

كما وقع صاحب الأمالي في الوهم أو وقع نسّاخه في التصحيف نفسه فجعل اسمه (محمد بن بشير البصـري)[٢٢]ولكن العلامة الميمني في تحقيقه لسمط اللآلي كان من أوائل من تنبّه إلى هذا التصحيف فقال : « يسير بالياء المعجمة باثنتين من تحت والسين المهملة ، وقدتصحّف في عامة الكتب ببشير ، ومحمد بن بشير الخارجي العدواني شاعر غيره •»[٢٣] • ثم أضاف « هذا الاسم (ويريد محمد بن يسير) مصحّف ببشير حيثماوقع إلا ما شاء الله وتقدم • »[٢٤] على أن أكبر وهم وتخليط أصاب اسم الشاعر ونسبه ، كان عند القفطي في كتابه (المحمدون من الشعراء وأشعارهم) ،لأن مؤلفه لم يقف عنـد التصحيف أو الخلط بين (يسير وبشير) بل أضـاف شاعراً ثالثاً جديداً •

يقول في ترجمة محمد بن يسير الرياشي : «محمد بن بشير الحميري البصري أبو جعفر مولى بني سدوس ويقال : مولى بني هاشم، وقيل: هو من جذام.»[٢٥]

وواضح أن المقصود بهذه الترجمة هومحمدبن يسير الرياشي، لأن (البصري، أو جعفر) هو لقب ابن يسير وكنيته ،كما أن القفطي فيهذه الترجمة يستشهد بأربعة نصوص صحت نسبتهـا لابن يسير في كتب التراث .

ثم يقول في ترجمة الخارجي : «محمدبن بشير الخـارجي المدينـي وليس من الخوارج وإنما هو من بني خارجة ، بطنمن عدوان بن عمر بن قيس عيلان بن مضر . »[٢٦] والمقصود بهـذه الترجمةهو محمد بن بشير الخارجي . فالقفطي يعرض في ترجمته شعراً صحت نسبتهإلى الخارجي[٢٧] .

ثم يترجم لشاعـر ثالث يسميه (محمد بن بشـير العدواني) فيقـول : « وليس محمد بن بشير العدواني الأولفي شيء ، فان هذا كان بالعراق وبينـه وبين رؤسائها مفاكهات ومخاطبات وذلككان مسكنه الحجاز على ما تقدم . »[٢٨] وواضح أن المقصود بهذه الترجمة هـومحمد بن يسـير الرياشي لأن القفطي يعرض في ترجمته شعراً صحت نسبتهإلى ابن يسير[٢٩] .

ومما زاد الأمر التواءً وتعقيداً أنمحقق الكتاب لم يبذل أي جهد في التمييز بين الشعراء الثلاثة أو إزالة الابهام عن ترجماتهم ، بل اكتفى بتعداد المصادر التي ترجمت لهم أو روت شعرهم ، فقال: « تتشابه أسماء أصحاب هذه الترجمة والترجمة ١٣٢ و ١٤٠ ولا يكاد يطمئنالباحث إلى خط يضعه بينهما .وسأسرد مظانّ تراجمها على أن أحيـل عليها فيالترجمتين التاليتين وهي : ... »[٣٠] .

ومما يؤسف له أن هذا الخلط بين الشاعرين (الرياشي والخارجـي) لـم يقتصر على السالفين بل وقع فيه المعاصرون أيضاً،فرأىبعضهم أن الشاعرين شاعر واحد . فالدكتور ياسين الأيوبيصاحب معجم الشعراء في لسان العرب ، وهو رسالته لنيل الدكتوراه ، يقول : « محمد بن بشير الخارجي أو محمد بن يسير الرياشي توفي ٢١٠ هـ ـ ٨٢٥م» .ثم يورد أبياتاً ثبتت نسبتها لابن بشير الخارجي[٣١] ويعقب بقوله : « يعتبر شارحو الأغاني والشعر والشعراء أن اسم الشاعر هنـا يصحف فيسمى محمد بنبشير والحقيقة أن اسمه محمد بن يسير الرياشي شاعر عباسي من خثعم.»[٣٢].

ويقول الأستاذ عبد السلام هارون في هامش الصفحة ١٤٢ من أمالي الزجاجي بعد أن يعرف محمد بن بشير :« ويقال فيه أيضاً محمد بن يسير كما في شرح التبريزي • »[٣٣] إنه وهم قديم جرّ وراءه وهماً حديثاً •

سؤال أخير يطرح نفسه في هذا السياق وهو : هل كان ابن يسير عربياً صليبة أو مولى من الموالي؟ ليس في كتب المصادر مما قرأت ما يثبت نسبه العربي أو ينفيه ، ولكن في شعره ما يوحي بأنه عربي • فعندما وصف نعاله البالية قال:

لا تداني ، وليس تشبه في الخلـ ـقة ان أبرزت نعال الموالي

فنعاله البالية أكثر اهتراء وبلى من نعال الموالي والموالي هنا تحمل على العبيد • وربما نشتمّ من هذا البيت مايوحي بأصله العربي •

٢ ـ حياته :

آ ـ ولادته :

ولد محمد بن يسير الرياشي في مدينة البصرة في أواسط القرن الثاني للهجرة ، على وجه التقريب لا القطع • إنني أزعم إذن أن حياته قد شغلت حيّزاً من السنوات تبدأ ب (١٥٠ هـ) وتنتهي بعام (٢٢٥ هـ) • وما يدفعني إلى هذا الزعم أو التخمين أن كتب التراث التي تغفل في الغالب تاريخ ولادة الأعلام الذين تترجم لهم ، وتثبت تاريخ وفاتهم؛ قد أغفلت تاريخ ولادة ابن يسير كما أغفلت تاريخ وفاته • ولم تترك لنا من خيار لتقدير عمره سوى الاستئناس بما جاء فيها من إشارات ، تغمغم أو تومىء ولكنها لا تفصح بصراحة ودقة ، ولا تنص على تاريخ قاطع محدد •

يقول ابن قتيبة في ترجمة ابن يسير : « وكان في عصر أبي نواس ، وعُمّر بعده حيناً • »[٣٤] • ولا ندري كم عُمّر بعد أبي نواس ، ولكننا نعرف أن وفاة أبي نواس كانت عام ١٩٨ هـ[٣٥] ، وهذا يعني أن ابن يسير قد امتد به العمر الى القرن الثالث الهجري •

ان هذه الترجمة تقطع بأن ابن قتيبة الذي كانت سنوات حياته ما بين

عامي ٢١٣ هـ ـ ٢٧٦ هـ ، لم يلتق ابن يسير في حياته الراشدة ولكن أهميتها تنبع من قرب ابن قتيبة من زمن ابن يسير ٠

وتتأكد معاصرة ابن يسير لأبي نواس بخبر يرويه الخطيب البغدادي يقول فيه : « وعن عبدالله بن محمد بن يسير عن أبيه قال : ذهبت بأبي نواس وهو غلام الى منزل بعض اخواني فظللنا فيه يوماً فلما كان العشي جَهِد به أن يبيت فأبى وأخذت بيده وحمل عليه السُكْر فجعل يسقط مرة ويقوم مرة وهو يقول :

قد كنت في منزل رُحابِ لكنْ أبت شرةُ الشباب
وشعرة نتجت برأسي جاء بها منزل الكتاب

قال فجئت به الى منزلي فبات عندي فلما كان في السحر أتيته فحدثته الحديث وأنشدته البيتين فقال : والله ما أذكرهما ٠ فقلت : والله يا بني لئن بقيت لتكونن أشعر الناس ٠ »(٣٦) وعلى الرغم من تأكيد هذه الرواية معاصرة ابن يسير لأبي نواس فانها تحتاج منا الى كثير من التأمل والتدبر ٠ فولادة أبي نواس كانت عام ١٣٦ هـ أو عام ١٤٠ هـ أما وفاته فكانت ما بين عام ١٩٥ هـ و ١٩٨ هـ(٣٧) ٠ وهذا يعني ، اذا صحت رواية الخطيب البغدادي ، أن ولادة ابن يسير كانت قبل ولادة أبي نواس ، لأن ابن يسير يقول : « ذهبت بأبي نواس وهو غلام » وكلمتا (ذهبت وغلام) تعنيان أن ابن يسير كان أكبر سناً من أبي نواس عندما ذهب به ٠

ولئن ساورنا بعض التردد في قبول رواية الخطيب البغدادي التي تكاد تقول ان ولادة ابن يسير كانت قبل عام ١٣٠ هـ فاننا أقرب الى اليقين في قولنا ان حياته امتدت في الربع الأول من القرن الثالث الهجري ٠ يقول أبو الفرج : « كان محمد بن يسير يعادي أحمد بن يوسف (الكاتب) فبلغه أنه يتعشق جارية سوداء مغنية ٠٠٠ »(٣٨) وقد توفي أحمد بن يوسف عام ٢١٣ هـ(٣٩) ، وكان كاتباً للخليفة المأمون ٠ ويعزز هذا الخبر ، خبر آخر يقطع بأن ابن يسير كان معاصراً للخليفة المأمون(٤٠) ٠ يقول صاحب البصائر والذخائر : « دخل أحمد بن يوسف على المأمون وعريب تغمز رجله ، فخالسها النظر ، وأومى اليها بقبلة ، فقالت : كحاشية البرد ٠ فلم يدر ما قالت ، فلما خرج لقي محمد

ابن يسير فحدثه الحديث ، فقال له : أنت تزعم أنك فَطِن" ، يذهب عليك مثل هذا ؟ أرادت قول الشاعر :

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة   كحاشية البرداليماني المسهّم(٤١)

أما أن تكون حياة ابن يسير قد امتدت حتى خلافة المعتصم – ٢١٨ هـ الى ٢٢٧ هـ فانه رأي لا نستطيع بتّه نفياأو اثباتاً ، بل يبقى في مهب الظن ، وان كان هناك من الأخبار ما يرجّحه ، يقول أبو الفرج « حدثني علي بن القاسم طارمة قال : كنت مع المعتصم لما غزا الروم فجاء بعض سراياه بخبر عمه ، فركب من فوره وسار أجدّ سير وأناأسايره ، فسمع منشداً يتمثل في عسكره :

ان الأمور اذا انسدّت مسالكها   فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة   اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

فسر بذلك وطابت نفسه ، ثم التفت اليّ وقال لي : يا عليّ أتروي هذا الشعر ؟ قلت : نعم • قال : من يقوله ؟قلت : محمد بن يسير ، فتفاءل باسمه ونسبه • »(٤٢) • ولا ينقض ما رجحناه الا أن يكون المنشد انما تمثّل بأبيات الرياشي بعد وفاته ، وهذا كثير عندالعرب •

وسبب آخر ، وجيه ، يعزز ما ذهبنا إليه من أن الرياشي قد عاش في الربع الأول من القرن الثالث الهجري على أقل تقدير ، إنه معاصرته للجاحظ • فقد ولد الجاحظ عام ١٥٠ هـ وعُمّر حتىعام ٢٥٥ هـ وقد روى عن ابن يسير الكثير من شعره في بيانه وحيوانه ، فكان يقول : « وقال محمد بن يسير »(٤٣) أو « وأنشدني محمد بن يسير الرياشي• »(٤٤) • ونحن لا ندعي أننا نقيس حياة الرياشي بحياة الجاحظ ، ولكننا نعلم أنه قد ألّفكتاب الحيوان في أخريات أيام حياته ، وهو مقعد مفلوج منقرسعليل ،(٤٥) كما نعلم أنه عُمّر حتى تجاوز به العمر منتصف القرن الثالثوهذا – فيما أرى – يقوي ما ذهبنا إليه في تقدير عمر محمد بن يسير ، ولكنهرأي يبقى في معرض التخمين ولا يرقى إلى اليقين •

بقي أن أشير إلى أن بعض الدارسين المعاصرين يجعل وفاته نحو سنة ٢١٠ هـ ـ ٨٢٥م • كذلك قدر الزركلي في الأعلام[٤٦] وتابعه الأيوبي في معجم الشعراء[٤٧] •

ب ـ أسرته :

إن الباحث في حياة ابن يسير يلاقي ما يلاقيه الباحث في حياة الأعلام الذين لا يبدأ اهتمام الناس بهم إلا بعد نبوغهم واشتهارهم • فكتب التراث لا تروي الكثير عن أسرته ، إنها لا تقول شيئاً عن أبيه أو أمه أو البيئة الأسرية التي وُلد وترعرع بين ظهرانيها ، ولا نعرف من هذه الأسرة إلاّ أخاه علياً وكان شاعراً أيضاً[٤٨] •

لقد تزوج محمد بن يسير وأعقب، ولكننا لم نعرف من عقبه سوى ابنه عبدالله ، وكان شاعراً[٤٩] أديباً روى الكثير من أخبار أبيه ، وكان من أهم مصادر أبي الفرج في ترجمته لابن يسير[٥٠]• ومن طريف ما يروى عن ولده هذا ، أن أباه أرسله في حاجة فأبطأ عليه وعاد ولم يقض وطر أبيه فقال فيه :

عَقْلُهُ عقلُ طائرٍ وهو في خِلْقةِ الجَمَلْ

فأجابه ابنه :

شَبَهٌ منكَ نالني ليسَ لي عنه مُنْتَقَلْ[٥١]

وفي هذا الخبر ما فيه من روح الدعابة وحضور البديهة عند الشاعرين •

أما ما يرد عن زوجته فنزر يسير ، ويبدو أن هذه الزوجة لم تكن جميلة تملأ عين الرياشي وتملك عليه نفسه ، في عصر أفصح فيه الجمال عن نفسه وأسفر عن مفاتنه فشغل الناس وفتنهم، وأقبلوا على دور اللهو والمجون وباعة الجواري • لقد تدفقت الجواري والقيانُ من كل حدب وصوب على حاضرة الدولة العباسية ومدن العراق ، فكان جمالاً ملوناً بتلون الأجناس والعروق ، وكان الاغراء عصياً على المقاومة والتمنع ، وربما فُتن ابن يسير كما فُتن غيره

فقابل بين الجمال المتقحّم وما يعرف عن زوجته ، وكانت مقابلة خاسرة دفعته إلى القول في هجاء زوجته والتعريض بدمامتها وقبحها :(٥٢)

نُبِّئْتُ أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثلُ شهر الصوم في الطول
أسنانُها مئة أو زدنَ واحدةً كأنها حين يبدو وجهها غول

ثم يضيق الرياشي بهذا القبح فيهجر زوجته متبعاً هواه في قنية جميلة من قيان البصرة ، يتعشقها ، ويجد عندها ما لا يجد عند زوجته ، وتكتب الزوجة لزوجها الهاجر مستردّة معاتبة، ويرد الرياشي على رسائل زوجته برسالة شعرية ، يُفهمها فيها أن اجتماعهما ثانية أمر ميئوس منه • وهذا بعض ما جاء في رسالته :(٥٣)

لا تذكري لوعةً اثري ولا جَزَعا ولا تقاسِنَّ بعدي الهمَّ والهلعا
ما تصنعينَ بعينٍ عنكِ قد طَمِحَتْ الى سواكِ ، وقلبٍ عنكِ قد نَزَعا

٣ ـ مكوناته :

آ ـ مكوناته الثقافية :

في مدينة البصرة ولد محمد بن يسير الرياشي وفيها أمضى حياته كلها • ولم يرشح إلينا في أي مصدر من المصادر أن ابن يسير غادر مدينته قط•كانت البصرة في زمنه واحدةً من الحواضر الثقافية الهامة التي حفل العصر العباسي بأمثالها ، وقد اجتذبت أو أنبتت عدداً من العلماء الأفذاذ الذين تركوا لنا الكثير من المؤلفات والأسفار ، ولم تقتصر مؤلفاتُهم وأسفارهم على علم بعينه بل تنوعت وتلونت لتضم علوم العصر كلَّها ، وليست علومُ اللغة أهمَّ ما اشتهرت به البصرة وعلماؤها ، وإن كانت هذه العلوم ، علومُ اللغة، واحدةً من أهم ما حفلت به هذه المدينة •

في هذه الأجواء الفوّارة المحتدمة عاش محمد بن يسير الرياشي ، وكان واحداً من أعلام الحركة الأدبية في مدينته• ونحن لا نعرف شيئاً عن حرفة احترفها أو مهنة زاولها ، ولكننا نعرف ، من خلال ما وصلنا من ترجماته ، أنه كان

واحداً من الأدباء والرواة المشتغلين بالأدب ، وهذا يدفعنا إلى القول إنه دفع كغيره من أضرابه من الأطفال إلى المعلمين ، فتلقى علوم عصره الأولى من لغة ودين ، ولكن مسيرة العلم وتحصيله لم تقف به عند هذا الحد بل تابع تحصيله في حلقات الدرس والعلم على أساطين اللغة والأدب،وقد لازم ابن يسير مجالس الأدب طوال حياته ، مستمعاً أومحدثاً راوياً ، ومما جاء في الأغاني : « كنا في حلقة التوّزي ، فلما تقوضت أنشدنا محمد بن يسير لنفسه ٠٠»(٥٤) والتوّزي هذا واحد من أئمة اللغة والنحو في البصرة ٠ لقد تحدد هواه واتضح فكان الأدب شغله الشاغل،وكان واحداً من المشتغلين به ، وقد ظهر اهتمامه باللغة والأدب جلياً واضحاً في بعض أشعاره التي حفلت بغريب اللغة وألفاظها التخصصية إن صحت العبارة ،(٥٥) كما كان الجاحظ واحداً من المعاصرين الذين رَوَوْا عن ابن يسيرشعره وشعر غيره من الشعراء ٠

يقول أبو الفرج في أغانيه : «هجمتشاة منيع البقال على دار ابن يسير وهو غائب وكانت له قراطيس فيها أشعاروآداب مجموعة،فأكلتها كلها ٠٠٠»(٥٦)، إن هذا النص يصرح بوضوح ، باهتمامابن يسير بجمع الأدب وتدوينه ، بل ربما غلبت عليه سمة الأديب أكثر من صفة الشاعر ٠ وقد حفل شعره بمصطلحات الأدباء وأسماء أدواتهم ،وها هو ذا في واحدة من قصائده يصور حزنه الكبير على ألواح الكتابة التي سرقها منه صديقه قُثَمُ بن جعفر بعد أن سكر ، وكانت لا تفارق كُمَّه ، يقول :(٥٧)

كنتُ أغدو بها على طَلَبِ العلـ ... ـمِ اذا ما غدَوتُ كلَّ صباحِ
هي كانتْ غذاءَ زَوْري اذا زا ... رَ وريَ النَّديمِ يومَ اصْطِباحي

أما علوم عصره الأخرى فيبدو أنها لم تشغله في قليل أو كثير ، إنه لا يأبه بعلوم الكلام والمتكلمين كما أنه لم يشرإلى اهتمامه بغير الأدب ، بل إنه يفصح عن ضيقه ببعض العلوم وأهلها ، وهاهوذا يعبر عن بَرَمه بجماعة من أهل الجدل كانوا إلى جانب حلقتهم في المسجد، يتصايحون في المقالات والحجج فيها ، فيقول :(٥٨)

يا سائلي عن مقالةِ الشيَّعِ ... وعن صنوفِ الأهواءِ والبِدَعِ
دعْ عنكَ ذِكْرَ الأهواءِ ناحيةً ... فليس ممَّنْ شَهِدْتُ ذو ورعِ

ب ـ مكوناتـه النفسيـة :

يقول أبو الفرج في ترجمته : « وكان محمد بن يسير هـذا شاعراً ظريفا من شعراء المحدثين ، ... وكان ماجناً هجّاءً خبيثاً . »(٥٩) . فالى أي مـدى يصدق هذا الحكم على ابن يسير ؟ بلى ، كان ابن يسير ظريفاً ، وربما كان ماجناً هجاءً ولكنه لم يكن خبيثاً قط ، وإن ما بقي لنا من شعره وأخباره لا يفصح عن إنسان خبيث الطويّة ، شرس مشاكس يسعى إلى الشر أو الصدام مع الآخرين: بل يفصح عن إنسان طيب النفس ، حلو المعشر ، ميال إلى البساطة والموادعة ، مؤثر للسلامة ، شاء أن يعيش حيـاة بسيطة هادئة في محيط البصرة الصاخب الجيّاش ، وهو في ذلك يصدر عن فلسفة حياتيـة واضحة بعيدة عن التعقيـد . فالحياة قصيرة ولا تحتمل أن يبددها الانسان بالجد والقلق والسعي وراء المال أو الجـاه أو السلطان ، بل عليـه أن يَعْتَصِرها مستلاً عصارة اللذة ، دون أن يكلف نفسه عناءً أو جهداً ، ولِمَ الجهد وفيمَ العناء ؟ لقد انسحبت هـذه النظرة إلى الحياة على مواقفه الحياتيـة كلها ، ولم يشذ عنها إلا في سعيه الدؤوب وراء العلم والتدوين ومجالس العلماء ، وما أظن أنه فَرِقَ من حادث فَرَقَه من اعتداء شاة منيع البَقّال على داره وقضمها لكتبه ومدوناته . إن الاهتمام بالعلم والأدب هو الجانب الجاد الوحيد في مواقفه الحياتية ، أما ما عدا ذلك فلا مكان للجد فيه .

ومن البدهي أن هذه النظرة إلى الحياة لم تكن لتثـير منازع الطمـوح في نفسه ، وهذا ما دفعه إلى الاقامة في مدينة البصرة ولم يغادرها قط . ذلك لأن هذه المدينة حققت له كل ما كان يصبو إليه ، ففيها من اللهو والقيان والنبيـذ ما يكفي ، وفيها من الولاة والرجالات من يفيء إليهم وينعم في ظلالهم ، وفيها من العلم والعلمـاء ما يشبع نهمه ويروي ظمأه . لقد قعدت به هذه الفلسفة عن السعي إلى بغداد ، قاعدة الخلافة التي يسعى إليهـا الشعـراء من أقطـار دار الاسلام كافة ، وما شأنـه بالبلاطات والقصـور والوزراء والقـواد إذا كـان لا يطمح إلى مال أو جاه أو سلطان ؟ إنه يعيش حياته يوماً يوماً بالوسائل المتاحة بلا جهد أو كلفة ، وهذا المذهب الحياتي جعله إنساناً متواكلاً متكئاً على غـيره في قضاء حاجاته اليومية

إنه محب للنبيذ شغوف به ولكنه لم يكن يكلف نفسه عناء نبذه أو شرائه بل كان يستسقيه من إخوانه وجيرانه،(٦٠) بل ربما استسقى من والي البصرة الهاشمي نفسه، وهل هناك كلمة أوقع في النفس من (يستسقيه) كما وردت في رواية ابنه في الأغاني؟ إنها تخفي في ظلالها السؤال أو الكُدْيَة ولكنه سؤال أديب وكُدية شاعر. ومن يسأل؟ إنه والي البصرة الهاشمي. وقد كان هذا الوالي كريم النفس محباً للشاعر ملبياً لسؤاله أو استسقائه، مسعفاً بما شاء من نبيذ. إن التواكل وذل السؤال عند ابن يسير أهون من معاناة صناعة النبيذ كما يقول:(٦١)

كَمْ في عِلاجِ نَبيذِ التَّمْرِ لي تَعَبٌ … الطَّبْخُ والدَلْكُ والمِعْصارُ والعَكَرُ
فصرتُ في البيتِ أسْتَسْقي وأطلُبُه … مِنَ الصَّديقِ ورُسْلي فيه تَبْتَدِرُ

أبيات طريفة تنمُّ عن ظرافة وتواكل عجيب.

وكان لا بد للشاعر من التنقل في أزقة البصرة وأرباضها لقضاء حاجاته، وكان لا بد له من دابة تنقله، ولكنه لا يملك مثل هذه الدابة، وماذا يضيره أن يستعير دوابّ جيرانه؟ ها هو يسأل جاراً له هاشمياً، حماراً ليمضي عليه في حاجة له، ولكن جاره يمتنع عليه ويأبى أن يعيره حماره. إن هذا الامتناع لا يثير في نفس الشاعر أكثر من الشكوى، فيشكو جاره هذا لأحد أصدقائه، وكانت الشكوى شعراً طريفاً حافلاً بالاباء. إنه لا يحفل كثيراً بامتناع جاره عن إعارته الحمار لأنه يملك معادلاً لهذا الحمار، إنه يملك رجلين قويتين تغنيانه عن الحمار وتبلغانه ما يريد:(٦٢)

ان كنت لا عَيْرَ لي يوماً يُبَلِّغُني … حاجي وأقْضي عليه حَقَّ اخواني
وضَنَّ أهلُ العَوَاري حينَ أسْألُهم … من أهْلِ وُدّي وخُلْصائي وجيراني
فان رجليَّ عندي لا عدمتُهما … رِجْلا أخي ثِقَةٍ مُذْ كان جَوّلاني

ولكن هل يستطيع ابن يسير أن يقلع عن هذه العادة، عادة الاستعارة، على الرغم من جَبْهِ بعضهم له بالمنع والرفض؟ ها هو ذا يعود ثانية ليستعير من مويس بن عمران بغلة له ليركبها في رحلة من رحلاته، مادحاً هذه البغلة، ناعتاً إياها بأجمل النعوت:(٦٣)

اضْمُمْ عليَّ مآربـاً قـد أصبحتْ ... شَتّى بـدادِ شتيتـةِ الأوطـانِ
بزَفُوفِ ساعـاتِ الكَلالِ دليقـةٍ ... سَفْواءَ أبـدعَ خَلْقَها أبـوان

إن هذا التواكل وعـدم التعلق بالغنى جعل منه إنساناً رقيق الحال ،ولكنه يحمل في داخلـه شاعراً مِفَنّاً لا يأبـهكثيراً بأهمية المال وأثره في نفسه ومظهره الخارجي • إنه يَلْبَس مـن الثياب مايستر هـذا الجسد ، وينتعـل ما يقيه الحفا ، دون أن يقيم وزناً كبيراً لأناقتهأو مظهره • وقـد عاب عليـه بعضهم انتعاله النعال البالية ، فقال :(٦٤)

كَـمْ أرى ذا تَعَجُّبٍ من نِعالـي ... ورِضَـائي منهـا بلُبْسِ البوالـي
ما وقانـي الحَفَا ، وبَلَّغَني الحا ... جَـةَ منهـا فانَّنـي لا أبَالـي

وربما كان هـذا التواكل وعدم التعلق بالغنى ومظاهره سبباً في اتهامـه بالبخل ، فقد كان الشاعر مُبَخَّلاً عندالناس من معارفه ، وكان واحـداً ممن ضرب الجاحظ بهم المثل بالبخـل فقال :« وأين أنت من ابن يسير »(٦٥) •

وكان أبو الفرج واحداً ممن رموا ابن يسير بالبخل أيضـاً ، وهو يـروي حادثة طريفة في هذا المعرض ، تدل علىاشتهـار الشاعر بذلـك • إنـه ينشد لاخوانه بعضاً من شعره في الكرم ، فيقولون : « ما هذا التكارم ؟ » ثم ينهضون إلى بيته ، فيأكلون ثمراً كـان عنده ،ويحملـون ما لـم يستطيعـوا أكلـه ، فيشكوهم الشاعر إلى الوالي ، فينصفهمن أصدقائه العابثين ويرد عليـه حقه الضائع •(٦٦) وفي اعتقادي أن بخله هذا إنما نشأ من تواكله أو فقره أو خوفه من الجوع ، فهو لا يملك مصدراً للرزقثابتاً •

ويقدم ابن يسير نفسه للآخر في صيغة العالم لا الشاعر المتكسب ، فما أثر عنه تكسّب"بشعره كغيره من الشعراء ، وإن مـدح أحداً فانه لا يمدحـه تكَسُّباً بل يأتي المديح في معرض موقفحياتي ، كما في حادثـة أكل أصدقائـه لتمره ومديحه لوالي البصـرة لينصفـهمنهم • ولئن كان لا يتكسب بالمديح فانه كان لا يتكسب بالهجاء أيضاً ، لأنه ماكان شاعراً هجّاءً ، لقـد كان يهجو ، ولكنه ما كان هجاءً مقذعاً خبيث اللسان، موجعاً كغيره ممن نعرفهم من شعـراء

الهجاء الذين كانوا يسلقون الناس بألسنتهم الحداد ، فيبثون الخوف في النفوس ويُبذل لهم المال اتّقاءً لشرهم وخوفاً من هجائهم .

كان هجاء ابن يسير مرتبطاً بموقف حياتي يعيشه، فقد هجا أبا النّجم المغني وهما يوسف بن جعفر كما هجا امرأته ، ولم يسلم من هجائه الحيوان أيضاً ، ولكن هجاءه لا يبلغ به حدّ الفحش أو القذف أو استخدام اللفظ المقذع ، انه هجاء غير موجع أقربُ الى المداعبة ، وأنت لا تقع فيه على ألفاظ مقذعة ، اللهم اذا استثنيت بيتين من الشعر وردا في البيان بلا نسبة صريحة الى ابن يسير[٦٧] . بل انه كثيراً ما كان يصفح عن خصومه ويتجاوز هفواتهم في مواقف تستدعي الهجاء . فحين وشى به صديقه القاضي داود بن أحمد الى زوجته وأهله ، ودلّهم على أماكن اللهو والشبهة التي يتردد اليها « جعل ابن يسير يضحك ويقول : أيها القاضي لوغيرك يقول لي هذا لعُرِف خبره .»[٦٨] أما حين هجاه جُعيفران الموسوس ، فقد استشاط ابن يسير غضباً ، وانهال عليه بشتائمه ، ولكنه لم يردّ عليه شعراً بشعر[٦٩] . وحينما زحمه أحمد بن يوسف بحماره في الطريق ، وكان ابن يسير راجلا ، وكانت بينهما جفوة ، لم يرد ابن يسير بالهجاء بل أخذ بأذن الحمار وقال له : قل لهذا الحمار الراكب فوقك لا يؤذي الناس ، فضحك أحمد ونزل ، فعانقه وصالحه .»[٧٠] ولعمري انه لجواب أبلغ من الهجاء ، ولعمري انه لعتاب ظريف ذو وقع في النفس ، يصدر عن انسان طيب النفس سليم الطوية حلو المعشر ميال الى الموادعة . ان هذا التكوين جعله محبوباً من الآخرين مقرباً من رجالات عصره ، على الرغم مما يصدر عنه من هنات تدل على الظرف وخفة الظل . دعاه والي البصرة الى مجلس شراب في يوم شات جميل ، فوضع شروطاً لمجيئه أغضبت الوالي ، انه يريد برذونا لنقله وحجّاماً ليصلح من شعره ، ثم حمّاماً وطيبا ، ولكن الوالي يجيب شروطه مضمراً العبث به ، وعندما يصل ابن يسير ، يشدّه أعوان الوالي إلى أسطوانة في المجلس ، ويجلس وأصدقاءه إلى الشراب ، فيطير صواب ابن يسير وهو يراهم أمام ناظريه يشربون ويقصفون ، وهو المقيد الممنوع ، ويسألهم أن يقيلوا عثرته ، فيجيب الوالي ، شريطة أن يهجو ابن يسير نفسه ، ويقبل ابن يسير ويهجو نفسه قائلا[٧١] :

أيا عجبا من ذا التَّسَرِّي فانه | له نخوة من نفسه وتكابدُ
يشارط لما زار حتى كأنه | مُغَنٍّ مُجيدٌ أو غلامٌ مؤاجر

وان هجاءه هذا يفصح عن وداعة وظرف كبيرين ٠

وربما قاده ظرفه هذا الى بعض المجون ، ولكنه ليس المجون المتحدي للمجتمع وقيمه ولا المنغمس حتى الآذان كالذي أثر عن بعض معاصريه كحماد عجرد وأبي نواس واضرابهما من الشعراء ٠ انه بعض مجون الشاعر الذي كان يدفعه الى التردد الى أماكن اللهو ودور القيان والجواري والقصف والغناء ، والذي كان يصل به أحياناً الى هجر زوجته أو هجائها ، جرياً وراء قينة من القيان ٠ وهل كتب عليه أن يعيش الدهر مخلصاً لهذه الزوجة التي « عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول » ؛ ومن منا لا يضيق بالآخرين وبنفسه أحياناً ، فيسلك سُبلاً يجد فيها دافعاً للسأم كما يظن ؟ وكثيراً ما هجر الشاعر زوجته وبيته أياماً ، وكثيراً ما خرجت وأبناءها بحثاً عن الزوج الهارب ٠ بل ان مجونه الظريف هذا كان يضعه في مواقف محرجة أو مهلكة أحياناً ، وها هو ذا يتغزل بوصيفة من وصيفات الأمير قثم بن جعفر ، في مجلس من مجالس الشراب غير عابيء بحرمة المجلس أو هيبة الأمير ، فينخلع فؤاد صديقه أبي الشبل ويقول له : « اسكت ويلك الا ، تُصفع والله وتُخرج » وكان جواب ابن يسير يحمل الكثير من الظرف والمجون حينما قال : « والله لو وثقت بأن نُصفع جميعاً لأنشدته الأبيات ، ولكني أخشى أن أفرد بالصفع دونك »(٧٢) ٠ وربما دفعه الايغال في المجون إلى الانقلاب إلى الزهد أحياناً ، والعزوف عن الحياة ولذائذها ،(٧٣) ولكننا لا نقرأ له الكثير مما يمكن أن نضعه في قائمة الزهد ؛ ولا نستطيع من خلاله أن نحدد زمن انقلابه هذا ولا صدقه ، وفي ظني أن زهده معادل لمجونه ، وهي حالة مألوفة عند الكثيرين ممن يعانون فناً من الفنون ، إنه التقلب الناجم عن الاضطراب والقلق ٠

إنه إنسان ظريف طيب النفس ، وادع مقبل على الحياة بتواكل عجيب ، وإلا فكيف تفسر قوله :

تَخطي النفوسُ مَعَ العيا | نِ وقد تُصيبُ مع المَظنَّه
كَمْ مِنْ مَضيقٍ في الفضا | ءِ ومَخرجٍ بينَ الأسِنَّه

٤ ـ موضوعات شعره :

إن مكونات الشاعر النفسية التي تحدثنا عنها آنفاً نأت بالشاعر عن أن يكون واحداً من الشعراء المعاصرين له،شاعراً مّداحاً متكسباً يطرق أبواب القصور ويقف طويلاً على أعتاب الأمراء ، وإذا جاز لي التعبير فانني أقول إنها لم تجعل منه شاعراً « محترفاً » بمقاييس عصره بل جعلت منه شاعراً ذاتياً وجدانياً ، انصرف في شعره إلى تصوير وقائع حياته اليومية ، خطيرها وحقيرها، باطنها وظاهرها ، ولم يشغل نفسه أبداً بمنافسة الشعراء ومديح الأمراء ، وعلى الرغم من اتصاله بأمراء البصرة وولاتها ، ومجالستهم ومنادمتهم فانه لم يمدح أحداً منهم قط ، بل كان يدخل المجالس دخول العالم الأديب الصديق ، والنديم الظريف ، وإن المقطوعة اليتيمة التي قالها في مدح والي البصرة عمر بن حفص لم تكن غايتها المديح من أجل المديح ، وإنما كانت تعبيراً عن موقف حياتي عاشه الشاعر • إنه بهذه المقطوعة يستعين بالوالي لينصفه من أصدقائه العابثين الذين اقتحموا بيته وأكلوا تمره، وقد فعل الوالي ، وأنصفه • ولكنه لم يجزه لقاء مديحه ، ولم يطلب الشاعر منه ذلك(٧٤)

وفي ظني أن هذه الفلسفة الحياتية اللاهية المتواكلة هي التي أخملت ابن يسير وابتعدت به عن نباهة الذكر وذيوع الصيت ، وإننا واجدون له في كتب الأدب والمجموعات الشعرية ، العديد من الأبيات التي اشتهرت وأصبحت مما يتمثل به الناس ، ولكنني أظن أنه إنما قالها لنفسه لا لتذيع وتشتهر ، وكأني به يريد أن يقدم نفسه للناس عالماً لا شاعراً

بهذا المفتاح ، مفتاح الذاتية وتصوير وقائع الحياة اليومية ، يمكننا أن نفتح الباب لنلج عالم ابن يسير الخاص ، وإننا لواجدون في عالمه الشعري ألوان الشعر العربي كلها تقريباً • لقد مدح وهجا ووصف وتغزل وقال في الحكمة والزهد وبكى نفسه وأصدقاءه وكتبه ، ولكنه في كل ما قاله إنما يصدر عن الذات الشاعرة التي تتجه بخطابها نحو الداخل، ولم يكن يتجه بخطابه الشعري هذا نحو الخارج • لقد مدح والي البصرة ،كما أسلفت فقال :(٧٥)

يـا أبـا حَفْصٍ بِحُرْمَتِنـا عَـنْ نَفْسـا حِـينَ تَنْتَهِكُ
خُـذْ لنـا ثَـأراً بِجُلَّتِنـا فَبِـكَ الأوتـارُ تُـدْرَكُ

ولكنه في مديحه لا يطلب ثوابا بل يستعدي (صديقه) الوالي (بحرمته عليه) على من اعتدى على تمره

كما هجا عدداً من معاصريه ، ولم ينج الحيوان من هجائه فانصب على شاة منيع البقال كالصاعقة ، وكان في هجائه لهذه الشاة يفصح عن ظرف كثير على الرغم من فرقه وأله لمصابه في بستانه وكتبه . لقد أكلت هذه الشاة كتبه ومدوناته عندما لم تجد ما تأكله في بيته فكان مصابه جللا ، وقد استنفر ذاكرته اللغوية فاستحضر منها جلّ ما يحفظ من صفات سيئة ودعوات خبيثة وصبها على رأس هذه الشاة الملعونة التي نكبته في كتبه ، فكان في هجائه هذا ظريفاً طريفاً أكثر منه مقذعاً مفحشاً(٧٦) .

وشارك ابن يسير أيضاً في المناقضات الهجائية التي كانت تدور حول القدور في زمنه ، فكان صغر القدر مدعاة للتهمة بالبخل(٧٧) . ولكن هجاءه كان ضرباً من التنفيس عن النفس والترويح عنها ، بعد أن يضيق بهؤلاء الثقلاء الذين يثقلون عليه ويفسدون عليه حياته . لقد هجا واحداً من المغنين يقال له أبو النجم لأنه عبث به وأثقل في وليمة كانا قد دعيا اليها(٧٨) ، وعرّض بصديق له يدعى داود لأنه كان ذا حظ عند النساء لم يكن لابن يسير مثله على الرغم من قبح داود هذا وكونه أمياً جاهلاً ، فكان يكلّف ابن يسير الرد على رسائل المعجبات من القيان(٧٩)

لا يُساوي عندَ التَّأمُّلِ والتَّفتيشِ يوماً في النَّاسِ كَفَّ تُرابِ

كما هجا الأمير يوسف بن جعفر لأنه عربد عليه وشجّه في مجلس من مجالس الخمرة(٨٠) ، وهجا الفلاسفة والمتكلمين لأنه ضاق بجدالهم المستمر وخصوماتهم التي لا تنتهي في حلقات المساجد ، كما هجا صديقه أحمد بن يوسف الكاتب في جفوة بينهما ، فعيّره بحبه لجارية سوداء مغنية(٨١) ، وهجا زوجته التي ضاق بقبحها وطول صحبتها(٨٢) ، وتوّج ذلك كله بهجاء نفسه في مجلس الأمير والي البصرة .

ويبدو أن المرأة لم تحتل حيّزاً واسعاً في عقل ابن يسير وشعره ، على الرغم مما أُثر عنه من تردد على دور اللهو وحضور مجالس الغناء والشراب .

وعلى الرغم من تصريحه بحبه لقينة منقيان أبي هاشم بالبصرة وتحوله الى انسان خليع وهجره لزوجته راداً على عتابها له[٨٣]:

لا تَذْكُري لَوْعَةَ اثْري ولا جَزَعَا … ولا تقاسِنْ بَعْدي الهَمَّ والجَزَعا
ما تصنعينَ بعينٍ عنكِ قَدْ طَمَحَتْ … الى سِواكِ وقَلْبٍ عنكِ قد نَزَعا
ومَنْ يُطِيقُ خَلِيعاً عندَ صَبْوَتِهِ … أمْ مَنْ يقوم لمستورٍ اذا خَلَعا ؟

انه يفصح عن خلاعته ومجونه بلاخجل أو مواربة •

ويبدو أن أخلاق العلماء وجفاءهم قد تركا فيه أثراً ليس باليسير ، على أننا واجدون في شعره مقطوعة يتغزل فيها باحدى الجواري قائلا:[٨٤]

يا باسطاً كَفَّهُ نَحْوي يُطَيِّبني … كفّاكَ أطيَبُ يا حِبّي من الطيّب

وتبقى أبيات هذه المقطوعة الأربعة في إطار الشعر الذاتي لأنها لم تجاوز فم ابن يسير إلا إلى أذني جاره أبي الشبل، لم تسمع الجارية ولم يسمع من في المجلس.

ولقد وصف ابن يسير الخمرة ؛ وصف مجالسها وآثارها فيه ، ووصف مراحل صناعتها • ولكن غايته لم تكن الخمرةَ عينَها ، بل كان وصفُ الخمرة وصناعتِها مُدخلاً لموقف حياتي ، إنه مُدخل للاستسقاء وطلب الخمرة من الآخرين • إنه يحب الخمرة وما بات يوماً قط إلا وهو سكران كما صرح ابنه[٨٥] ولكنه لا صبر له على صناعتها وافتضاح أمره أمام الجيران عند نقل الدنان ، فأخذ على نفسه ألا يصنع خمرة بل يستسقيها من أصدقائه ومعارفه كما يقول:[٨٦]

كَمْ في عِلاجِ نَبيذِ التَّمْرِ لي تَعَبٌ … الطَّبْخُ والدَّلْكُ والمِعْصَارُ والعَكَرُ

وفي اعتقادي أن الرثاء والهجاء هما اللونان اللذان يمثلان فلسفة ابن يسير وشعره المصورَ لمواقفه الحياتية خير تمثيل ؛ يمازجهما شيء من الحكمة والتأمل لا يبتعد أبداً عن الفلك الذي يدور فيه شعره ، فهو في حكمته يدعو إلى الصبر والتواكل • لقد رثى ابن يسير قصر النوشجاني ،[٨٧] وبكى ألواح الكتابة التي كان يحضر بها مجالس العلم ويدون عليها ما يحب ؛ بكى هذه الألواح

عندما عبث به قثم بن جعفر وسرقها منه، ورثى نفسه في قصيدة مشهورة أبكت الحضور جميعاً عندما أنشدها في مجلس أبي محمد الزاهد • ولكن رثاءه لصديقه داود ضرب مختلف • وداود هذا صديق لابن يسير كان يعاشره، وكانا يحضران معاً مجالس الشراب والقصف والغناء، ويعودان معاً في أواخر الليل، فكان ابن يسير يجعل داود، يسير أمامه مُتَّقيا به ظلمة الليل وأذى الطريق • عندما مات داود لم يرثه ابن يسير، ولكنه عندما انصرف ذات ليلة إلى بيته وهو سكران، فعثر بدكان وتلوث بطين ودخل برجله عظم ولقي عنتاً شديداً، تذكر داودَ صديقَه الذي كان يتلقَّى عنه كل هذا الأذى، فبكاه :(٨٨)

أقولُ والأرضُ قد غَشَّى وجَلَّلَها	ثوبُ الدُجَى فَهْوَ فَوقَ الأرضِ ممدودُ
مَنْ لي بداودَ في ذي الحال يُرشِدُني ؟	مَنْ لي بداودَ ؟ لَهفي أينَ داودُ ؟
لَهْفِي على رجْلِهِ ألاَّ أقدِّمَها	قُدَّامَ رجْلِي فتلقاها الجَلاميدُ

هل يبكي ابن يسير صديقه داود ؟ إنه يبكي نفسه التي افتقدت داودها في لحظات الخطر ففقدته • ومهما كان رأيك بهذا الرثاء، فانه رثاء طريف صادق، والصدق سمة هامة من سمات شعر ابن يسير، نفتقدها عند كثيرين من معاصريه من شعراء المديح •

وتلتقي مع سمة الصدق هذه، قصيدتُه في هجاء شاة منيع البقال، هذه القصيدة التي بلغ عدد أبياتها واحداً وخمسين بيتاً، وهو الشاعر المقل الذي لم يصلنا له شعر مطول سوى هذه القصيدة، وقصيدة أخرى تدخل في هذا الضرب من الشعر الهجائي، يدعو فيها على حمام ابن أبي عمرو المديني بالهلاك بعد أن طلب بعض فراخ الحمام الهُدَّاء فدلّس عليه وأعطاه فراخاً رديئة الأصل(٨٩) يستفتح ابن يسير قصيدته في هجاء شاة منيع بوصف بستانه الذي كان له في بيته :(٩٠)

لِيَ بُستانٌ أنيقٌ زاهرٌ ناضرُ الخضرةَ ريَّانُ تَرِفْ

وقد استغرق وصف البستان منه ستة عشر بيتاً • ثم ينتقل في بقية النص إلى الدعاء على شاة منيع ونبذها بأشنع الصفات والألقاب، ذلك لأنها أكلت بستانه وثنت بكتبه ومدوَّناته، فتخيل كم يكون حجم هذا البستان الذي

تستطيع شاة هزيلة أكله ثم لا تشبع به فتملأ معدتها بالكتب والمدونات ؟ ومع ذلك فان الكارثة كبيرة جداً عند ابن يسير ، وهو صادق مع نفسه ، وما طول القصيدة سوى ضرب من تأكيد صدقه وإحساسه بفداحة الخطب • وفي ظني أن المأساة عنده ليست في تلف البستان بل في ضياع الكتب والمدونات ، وهو العالم الشاعر ، وإذا أردت أن تعيش هذه اللحظة الشعرية الشعورية التي عاشها ابن يسير فتخيل أن مكتبتك التي قضيت عمرك في جمعها قد تلفت دفعة واحدة !

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : هل ترك ابن يسير جديداً في موضوعاته الشعرية ، لم يقل فيه الشعراء من سابقيه ؟ أقول : بلى ، لقد ترك ابن يسير جديداً ، ويمكن أن نُفرّعه إلى فرعين اثنين • أما الأول : فبساطة الموضوعات التي تناولها في شعره ، وكل الأنموذجات التي عرضتها آنفاً تصلح شاهداً لذلك ؛ هذه الموضوعات التي يندر أن نجد شبيهاً لها في شعر الشعراء الكبار الكثيرين من معاصريه ، الذين استغرقهم شعر القصور فأنفوا من تناول مثل هذه الموضوعات • وما أظن أن ابن يسير نسيج وحده في هذا ، بل إننا واجدون له أضراباً في الشعر العباسي وما تلاه ، ولكن من غير الذين نصنفهم في دائرة الفحولة الشعرية •

وأما الفرع الثاني من جديده فهو الكتب ، وهي العالم السحري الذي عاش ابن يسير في أجوائه ، بل تكاد تكون الموضوع الوحيد الذي تعامل معه بجدية مطلقة في محيط حياته اللاهي المتواكل، ذلك لأنه أراد أن يقدم نفسه عالماً ، أما الشاعر فيأتي عنده في المرتبة الثانية •

لقد أقبل ابن يسير على حلقات الدرس في مساجد البصرة ، متأبطاً ألواحه، فاستمع وحاور ودون ما أحب من شعر ونثر ، فكان ما تركه لنا من شعر في العلم والكتب وأدوات الكتابة أغزر شعر قاله في موضوع واحد• لقد وصف ألواح الكتابة وصف عاشق متيّم وبكاها بكاءً مرّاً حين ضاعت منه أو سرقت :(٩١)

عَيْنُ بَكّي بِعَبْرَةٍ تَسْفَاحِ وأقيمي مَـآتِـمَ الألـواحِ

كما تحدث عن مجالس العلماء وأفصح عن ضيقه وامتعاضه من مجالس

المتكلمين من أهل الجدل(٩٢) ، وتحدث عن طرائق التعامل مع العلم فأثنى على والاعتماد على الذاكرة والفهم(٩٣) :

مادَخَلَ الحَمَّامَ مِنْ عِلْمِي فَذَاكَ ما فَازَ بِهِ سَهْمِي

كما افتخر بذكائه وسرعة حفظه واستغنائه عن التدوين(٩٤) ، ثم نقض موقفه السابق فدعا إلى التدوين وتجويد الخطوط(٩٥) ، وحث العلماء على أن يعملوا بعلمهم ويتخلّقوا به ٠

على أن أجمل ما قاله في هذا الضرب من الشعر ، قصيدته في مديح الكتب وما تقدمه للانسان ، ويمكن اعتبارها من مطولاته لأن أبياتها بلغت ثمانية عشر بيتاً ٠ فالكتب ــ كما يرى ابن يسير ــ عالم ساحر يدخله الانسان مغلقاً عليه بابه فلا شكوى ولا شغب بل أنس كله لا يخاف الانسان أذاه ، ان الكتب تقدم لنا العلم والمعرفة وتروي لنا آثار الأولين وحكمتهم وأدبهم وان الانسان لا يموت إذا ترك لمن بعده أدباً يكتسب منه ٠ وتلك لعمري نظرة عالية الى الكتب والكتّاب . يقــول(٩٦) :

هُمْ مُؤنِسونَ وأُلافٌ غَنِيتُ بِهِمْ فليسَ لي في أنيسٍ غَيْرِهِمْ أرَبُ
لا بادرات الأذى يلقى رفيقَهُمُ ولا يلاقيهِ منهم مَنْطِقٌ ذَرِبُ
أبْقَوْا لنا حِكَماً تَبْقَى مَنافِعُها أخرى اللّيالي على الأيامِ وانْشَعَبُوا

يمكننا القول الآن وبكثير من الاطمئنان ان محمد بن يسير الرياشي شاعر ذاتي وجداني يصدر في شعره عن فلسفة حياتية واضحة تقوم على الاقبال على الحياة بهدوء ويُسر ودعةٍ وتواكل بعيداً عن الصدام أو النزاع مع الآخرين، وقد كان في شعره جُلّه ، ان لم يكن كله ، مصوراً لهذه الفلسفة من خلال رصده لمواقفه الحياتية وتوثيقها في عالمه الشعري ٠

إنه شاعر مسالم لا مصادم، وكم كان جميلاً حينما عاتب صديقه أحمد بن يوسف على جفوة كانت بينهما عادّاً اياه في الموتى الأحياء لأنه أمات الصداقة بينهما ،(٩٧) وكم كان أجمل حينما تغاضى عن جفاء صديقه الهاشمي ومدّ يده اليه داعياً الى حياة جديدة وصفحة جديدة ، حين قال(٩٨) :

قد كُنتُ مُنْقَبِضاً وأنتَ بَسَطْتَني حتّى انبَسَطْتُ اليكَ ثم قَبَضْتَني
فَهَلُمَّ نجتذبُ التَّذاكرَ بيننا ونعودُ بعدُ كأننا لم نَفْطَنِ

انه شاعر وديع يصدر في حياته كلهاعن فلسفة النفس المتواكلة الوادعة المطمئنة .

٥ ـ البنية الفنية : (الشكل وأساليب التعبير)

ان المفتاح الذي فتح الباب الى عالمابن يسير الشعري ، هو نفسه الذي سيفتح لنا الى طرائق بناء القصيدة عنده ومكوناتها الفنية . انه لم يكن يكتب الشعر منافساً أو مادحاً متكسباً بل كان يكتب لنفسه أولا وليصور مسارات حياته اليومية ثانياً ، ولـذا فانه كان يسلك الى القصيدة أول طريق يصادفه دون أن يكلف نفسه عناء التجويد أوالتحبير ، مع أنه يفصح في شعره عن عالم عليم باللغة ، متمكن منها ، مأنوسهاوغريبها ، عليم بضروب الشعر وفنونه . به انه كان واحداً من مصادر الجاحظ الشعرية في بيانه وحيوانه .

فعلى صعيد الشكل الفني لم يسلك ابن يسير سبل الأقدمين في بناء القصيدة بل ابتعد تماماً عما يسمى (هيكل القصيدة) . انه لا يستفتح بالغزل ولا يقف على الأطلال ، ولا يصف رحلة ولا ناقة ولا صيداً ، ولا ينتقل من غرض إلى غرض ، كما أنه لا يجاري معاصريه بالاستفتاح بالخمرة أو الحكمة أو التأمل بل كان يهجم على موضوعاته هجوماً مباشراً وبلا مقدمات . وما حاجته الى المقدمات وهو لا يكتب (القصيدة) بل يبتني على نظام (المقطوعة) سواء أطالت هذه المقطوعة أم قصرت ؟ انه واحد من شعراء (المدرسة البغدادية) التي تبنّت نظام المقطوعة الشعرية في التعبير عما تريد التعبير عنه . ولقد كانت هذه المدرسة لوناً من ألوان التطور الذي وصل اليه الشعر في العصر العباسي ، وهذا اللون من الشكل الفني يناسب ابن يسير الشاعر الذاتي الوجداني ، وينسجم مع فلسفته الحياتية التي تجنح الى البساطة في كل شيء .

مرة واحدة فقط شذّ عن هذه القاعدة حين استفتح قصيدته في هجاء شاء

منيع البقال بوصف بستانه ، أما ما عداها فمقطوعـات شعرية لا تلتزم منهـج القصيدة المألوف عند سابقيه ومعاصريه ·

أما على صعيـد البنية الفنيـة في شعره فان ابن يسير ينسب الى (مدرسة الطبع) اذا أردنا له أن ينتمي الى مدرسة شعرية معينة · ذلك لأنه لم يكن يعنى بتجويد شعره أو تصنيعه كما أنه لـم يكن يعنى بتنقيحـه ، لأن همه لم يكـن ينصرف الى فنية الشعر بقدر ما كـان ينصرف الى الموضوع الذي يريد التعبير عنه · وكما كانت موضوعاته بسيطـة أحياناً ، ساذجـة أحياناً أخرى ، فـان أساليبه في تناول هـذه الموضوعات كانت بسيطة ، وساذجة أحياناً ، بل انه يكاد يتحدث في بعض مقطوعاته بلغة بسيطة جداً تقترب من لغة الحديث اليومي كما في مديحه لوالي البصـرة[99] كما كـان يستخدم في بعض شعره ألفاظاً متنافرة بعيدة عن الانسجام ، لأنه ما كان يدقق كثيراً في اختيار ألفاظـه · اقرأ قولـه في عتاب أحمد بن يوسف[100] :

لم يَضِرْهـا ، والحمـدُ لله ، شيءٌ وانْثَنَتْ نحـوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولِ

ان شطره الثاني متنافر مرتبك ، وهذا ما دفع الجاحظ الى الاستشهاد به على تنافـر الألفاظ فقـال : « فتفقـد النصف الأخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ مـن بعض »[101] ·كما استشهد به ابن رشيق على تقارب الحروف وثقلها على اللسان فقال : «فان القسم الأخير من هذا البيت ثقيل ؛ لقرب الحاء من العين ، وقرب الزاي من السين· »[102] · ونحـن وان كنا لا نقـع في شعره على نماذج كثيرة من مثـل هـذا البيت السالف فاننا واقفون على بساطة بسيطة في طرائقه التعبيرية · وكما كان ابن يسير يتناول في شعره الموضوعـات البسيطة ، فانه كان يعبر عنها بعفويـة فطرية وحساسية عالية ، وكانت وسائله التعبيرية الى ذلك ، البساطة والعفويـة وقـرب التنـاول والبعـد عن التقعـر والافتعال والتصنـع والغموض والغوص وراء المعاني والصور ·

واذا كان التصـوير والتصنـع لا ينهضان بشعره فان له في صدق المشاعر وفورانها وعفوية الأحاسيس وفطريتها أجنحة قوية تنهض به ، ولكنها لا تحلق به عالياً في سماوات الشعر ·

□ مصـــادر البحث :

١ ـ الأغاني : ج ١٤/١٧ ·
٢ ـ الشعر والشعراء : ج ٢/٨٧٩ ·
٣ ـ تلخيص المتشابه في الرسم : ج ١/٣١٧ ·
٤ ـ الاكمـال : ج ١/٣٠٢ ·
٥ ـ الحيوان : ج ٣/٢٦٦ ·
٦ ـ البيان والتبيين : ج ٣/١٧٢ (سندوبي) ·
٧ ـ القاموس المحيط : ج ٢/١٦٣ مادة (يسر) ·
٨ ـ تاج العروس : ج ١٤/٤٦٠ مادة (يسر) ·
٩ ـ محمد بن بشير الخارجي ، شاعر أموي بـدوي ، سكن المدينـة المنـورة ، ترجم لـه أبو الفرج في الأغاني : ج ١٦/١٠٢ ·
١٠ـ البيان والتبيين : ج ٣/١٧٢ (سندوبي) ·
١١ـ الأغاني : ج ١٤/١٧ حاشية رقم (١) ·
١٢ـ أنظر ترجمـة محمد بن بشير الخارجي في الاكمـال : ج ١/٢٩٦ وتلخيص المتشابه في انرسم : ج ١/٣١٥ ·
١٣ـ الوافي بالوفيات : ج ٢/٢٥١ ·
١٤ـ الوافي بالوفيات : ج ٢/٢٥٢ ·
١٥ـ الابانة عن سرقات المتنبي : ص ٧٢ـ٧٣ ·
١٦ـ الابانة : ص ١١١ـ١١٢ ·
١٧ـ المحاسن والمساوىء : ص ٣٥٤ ·
١٨ـ العمدة : ج ١/٢١٦ ·
١٩ـ ربيع الأبدار : ج ٥/٤١٠ ·
٢٠ـ تاويل مختلف الحديث : ص ٦٢ ·
٢١ـ الدر الفريد وبيت القصيـد (مخطوط) : ج ٢/٤٥ ·
٢٢ـ الأمالي : ج ١/٢٢ ·
٢٣ـ سمط اللآلي : ج ١/١٠٤ حاشية رقم ٢ ·
٢٤ـ سمط اللآلي : ج ١/٥١٤ حاشية رقم ٢ ·
٢٥ـ المحمدون من الشعراء وأشعارهم : ص ٢٢٨ ·
٢٦ـ المحمدون : ص ٢٣٢ ·
٢٧ـ أنظر ديوان محمد بن بشير الخـارجي : ص ١٠٣ ـ المقطوعـة ٢٦ ـ وص ١١٦ · المقطوعـة ٣٢ وشعراء أمويون : القسم ٣/١٩٤ـ١٩٥ ـ وص ٢٠٤ـ٢٠٥ · والأغاني : ج ١٦/١١٣ ·
٢٨ـ المحمدون : ص ٢٤١ـ٢٤٢ ·
٢٩ـ الأغـاني : ج ١٤/١٧ـ١٩ وانظر المقطوعـة (١٧) في هذا الديوان ·
٣٠ـ المحمدون : ص ٢٢٨ ـ حاشية رقم ١ ·
٣١ـ انظر ديوان محمد بن بشير الخارجي : ص ٧٤ـ٧٥ ـ وشعراء أمويون : القسم ٣/١٨٤ ـ ولسان العرب : ج ١/٣١ مادة (أجر) ·
٣٢ـ معجم الشعراء في لسان العرب : ص ٣٧٦ ·
٣٣ـ شعراء أمويون : انقسم ٣/١٦٩ ·
٣٤ـ انشعر والشعراء : ج ٢/٨٧٩ ·
٣٥ـ بعض المصادر تجعلها عام ١٩٥ هـ ·
٣٦ـ تلخيص المتشابه في الرسم : ج ١/٣١٧ـ٣١٨ ·
٣٧ـ ديوان أبي نواس · المقدمة ·
٣٨ـ الأغاني : ج ١٤/٤٦ ، وانظر : ج ١٤/٣٤ ·
٣٩ـ البيان والتبيين: ج ١/٨٨ ، حاشية رقم ١ (سندوبي)·
٤٠ـ توفي المامون عام ٢١٨ هـ ، وانظر الكامل في التاريخ : ج ٦/٤٣٢ ·
٤١ـ البصائر والذخائر : ج ٧/٦٩ـ٧٠ ·
٤٢ـ الأغاني : ج ١٤/٤١ ·
٤٣ـ البيان والتبيين : ج ٣/٧٣ ومواضع أخرى ·
٤٤ـ الحيوان : ج ٣/٢٦٦ ومواضع أخرى ·
٤٥ـ الحيوان : ج ١/٢٥ و ج ٤/٢٠٨ ·
٤٦ـ الأعلام : ج ٧/١٤٤ و ج ٨/١٩١ ·
٤٧ـ معجم انشعراء في لسان العرب : ص ٣٣٦ ·
٤٨ـ تاج العروس : ج ١٤/٤٦٠ (يسر) ·
٤٩ـ المصدر السابق وسمط اللآلي : ج ١/١٠٤ ·
٥٠ـ الأغاني : ج ١٤/٣٧ ، وقد تكرر اسم عبدالله بن محد ابن يسير في عدد من الأسانيد ·
٥١ـ البصائر والذخائر : ج ٤/٧٦ ·
٥٢ـ الحيوان : ج ٧/١٦٢ ·
٥٣ـ الأغاني : ج ١٤/٢٦ـ٢٧ ·
٥٤ـ الأغاني : ج ١٤/٣٣ ·
٥٥ـ انظر المقطوعة (٣٣) في هجاء شاة منيع ·
٥٦ـ الأغاني : ج ١٤/٣٠ ·
٥٧ـ انظر المقطوعة (١١) ·
٥٨ـ الأغاني : ج ١٤/٤٣ ·
٥٩ـ الأغاني : ج ١٤/١٧ ·
٦٠ـ الأغاني : ج ١٤/٤٩ ·
٦١ـ المصـدر السابق ·
٦٢ـ الأغاني : ج ١٤/٣٢ ·

٦٣ـ رسائل الجاحظ (البغال) : ج ٢/٢٩٦ـ٢٩٧ .
٦٤ـ الأغاني : ج ١٤/٤٤ .
٦٥ـ البخلاء : ص ١٦٥ .
٦٦ـ الأغاني : ج ١٤/٣٣ـ٣٤ .
٦٧ـ البيان والتبيين : ج ٣/٢٣٥ (سندوبي) .
٦٨ـ الأغاني : ج ١٤/٤١ .
٦٩ـ الأغاني : ج ١٤/٤٨ـ٤٩ .
٧٠ـ الأغاني : ج ١٤/٣٤ .
٧١ـ الأغاني : ج ١٤/١٨ـ٢٠ .
٧٢ـ الأغاني : ج ١٤/٤٢ـ٤٣ .
٧٣ـ الأغاني : ج ١٤/٣٩ .
٧٤ـ انظر المقطوعة (٣٤) .
٧٥ـ المصدر السابق .
٧٦ـ الأغاني : ج ١٤/٢٠ وما بعدها .
٧٧ـ عيون الأخبار : ج ٣/٢٦٦ـ٢٦٧ .
٧٨ـ الأغاني : ج ١٤/٢٧ـ٢٨ .
٧٩ـ الأغاني : ج ١٤/٢٩ .
٨٠ـ الأغاني : ج ١٤/٣٠ .
٨١ـ الأغاني : ج ١٤/٤٦ .
٨٢ـ الحيوان : ج ٧/١٦٢ .
٨٣ـ الأغاني : ج ١٤/٢٦ـ٢٧ .
٨٤ـ الأغاني : ج ١٤/٤٢ـ٤٣ .
٨٥ـ الأغاني : ج ١٤/٤٩ .
٨٦ـ الأغاني : ج ١٤/٤٩ـ٥٠ .
٨٧ـ الأغاني : ج ١٤/٣٩ .
٨٨ـ الأغاني : ج ١٤/٢٩ .
٨٩ـ الأغاني : ج ١٤/٣٤ وما بعدها .
٩٠ـ انظر المقطوعة (٣٣) .
٩١ـ الأغاني : ج ١٤/٤٥ـ٤٦ .
٩٢ـ الأغاني : ج ١٤/٤٣ .
٩٣ـ الحيوان : ج ١/٩٥ والأغاني : ج ١٤/٤٧ .
٩٤ـ الأغاني : ج ١٤/٤٣ـ٤٤ .
٩٥ـ الأغاني : ج ١٤/٣٠ .
٩٦ـ الحيوان : ج ١/٩٤ـ٩٦ .
٩٧ـ البيان والتبيين : ج ١/٨٨ .
٩٨ـ الأغاني : ج ١٤/٤٧ .
٩٩ـ الأغاني : ج ١٤/٣٣ـ٣٤ .
١٠٠ـ الأغاني : ج ١٤/٣٤ .
١٠١ـ البيان والتبيين : ج ١/٨٨ .
١٠٢ـ العمدة : ج ١/٢٦١ .

☆ ☆ ☆